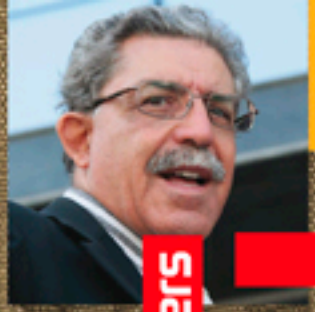

ليبيا بعد حكومة التوافق

بقلم: رشيد خشانة

ليدرز العربية

Leaders

ملحق خاص باللّغة العربيّة يوزّع مجانا • نوفمبر 2015

ميّا الجريبي

تخرج عن صمتها

هكذا عشت الثّورة وهذه اليوم مكامن الاحباط والخيبات

ما نأمله من النخبة التونسيّة

بقلم عبد الحفيظ الهرقام

من المفارقات التي نلحظها اليوم في تونس انكماش النخبة الفكريّة وتقلّص حضورها في الفضاء العمومي، بعد زهاء خمس سنوات من اندلاع ثورة كان من أهمّ مكاسبها اتساع مجال الحريات، ومن ضمنها حريّة الرأي والتعبير، وانفتاح آفاق رحبة أمام مختلف الحساسيات الفكريّة والسياسيّة للمشاركة الواسعة في تصريف الشأن العام.

وتدعونا هذه المفارقة إلى إمعان النظر في الأسباب التي تدفع العديد من المثقّفين وأصحاب الرأي إلى الاكتفاء بموقع الجالس على الربوة وتحاشي الخوض في المسائل الوطنيّة وطرح التصوّرات والبدائل الممكنة لحلّ المشاكل القائمة، في فترة مفصليّة من مسيرة البلاد .

ولعلّ من أبرز هذه الأسباب تقصير الأطر المجتمعيّة في استقطاب النخب وتحفيزها إلى الاهتمام بالشؤون الوطنيّة، علاوة على انحدار مستوى الحوار السياسي وانحرافه عن سبل التناول الهادئ الرصين لقضايا مصيريّة تهمّ حاضر تونس ومستقبلها، في ظلّ احتدام الصراعات الشخصيّة واستمرار التجاذبات والمهاترات السياسيّة وانسياب سيول الاتهامات الموجّهة إلى هذا الطرف أو ذاك عبر بعض وسائل الإعلام، التي وجدت في عراك الشارع السياسي وصخبه وسيلة لجذب المتلقّي. ومن البديهي أن يفقد المواطن عامّة والمثقّف خاصّة الثقة في الطبقة السياسيّة وأن يحوّل وجهة اهتمامه نحو ما هو أجدى وأنفع.

وإذ نتفهّم نسبيًا عزوف العديد من عناصر النخبة الفكريّة عن ممارسة العمل السياسي للأسباب الآنفة الذكر، وربّما لقناعات شخصيّة تحملهم على الحفاظ على حياديتهم واستقلاليتهم إزاء السلطة السياسيّة، بما ينسجم مع متطلّبات وظيفتهم النقديّة، فإنّنا نبقى حيارى أمام ما تشهده الساحة التونسيّة من تواصل حالة القحط الفكري والتصحّر الثقافي، بعد الثورة، رغم إضافات قيّمة في عدد من المجالات، لا نعتقد أنّها قادرة على حجب أزمة إبداع مستفحلة وانحسار جليّ للإنتاج الفكري والثقافي الوطني.

واليوم وقد تسنّى لتونس الديمقراطيّة الانصهار في منظومة القيم الكونيّة في كنف التناغم مع خصائص الهويّة الوطنيّة، فإنّ الأمل يظلّ قائما في أن تنهض النخبة التونسيّة بدور فاعل، خارج الدوائر الأكاديميّة الضيّقة، في ملء الفضاء العمومي-الذي يسعى دعاة التيّار المتطرّف والمتحجّر إلى السيطرة عليه- وذلك بانخراطها في الحراك السياسي ومساهمتها في إثراء الحوار الوطني والارتقاء بمستواه.

ولاشكّ أنّ ما يُبتغى إدراكه صحوة فكريّة وثقافيّة، تقطع مع الحالة السائدة وتضمن تواصل رسالة حضاريّة، كانت تونس في طليعة من اضطلع بها في محيطها العربي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بفضل مدوّنة إصلاحيّة رائدة وضعها أعلام بارزون من أمثال خير الدين باشا وابن أبي الضياف والشيخ محمود قابادو.

وقد شكّلت هذه المدوّنة المنطلق النظري لتيارات أدبيّة وفكريّة وإعلاميّة قاومت في بداية القرن العشرين الاستعمار ودعّمت الحركة الوطنيّة وقضايا الحريّة والتحرّر.

والمؤمّل أن تُرسم سياسات ثقافية وتربوية ناجعة تفضي إلى تجديد الفكر التونسي وإلى تطوير الانتاج الثقافي وتجويده، من خلال التشجيع على الاستثمار في شتّى حقول هذا الإنتاج ودعم كلّ مسعى فردي و جمعياتي جادّ يسهم في دفع حركة الفكر والإبداع، في هذه المرحلة الانتقاليّة التي تحمّل النخب الفكريّة ووسائل الإعلام بوجه خاصّ مسؤولية تشكيل الرأي العام وصياغة الوعي الجماعي، حتّى لا يكون الفاعلون المؤثّرون في الساحة الوطنيّة من خارج الحدود. ■

عبد الحفيظ الهرقام

الفهرس

رأي

• جائزة «نوبل» للسلام : الرمزيّة والدلالة 12
بقلم عبد الحفيظ الهرقام

صيد الكاميرا 14

وجهة نظر

• بين المصالحة والمحاسبة: المعادلة الصعبة 16
بقلم عادل كعنيش

موضوع الغلاف

• ميّا الجريبي تخرج عن صمتها 18

إضاءة

• ليبيا بعد حكومة التوافق 32
بقلم رشيد خشانة

شؤون دوليّة

• روسيا X سوريا = معادلة شرق أوسطيّة جديدة 34
بقلم محمد ابراهيم الحصايري

• اتفاقية الأمم المتحدة حول التغييرات المناخية:
تقدم المفاوضات حول الاتفاق الدولي الجديد 38

كاريكاتير

• يوميّات مواطن عيّاش: خُوذْ قْرُوضْ...وزِيدْ حَلِّي بالمَقْرُوضْ 40
بقلم عادل الأحمر

آخر الإصدارات

• ألفة السلامي في «ثورة جسد» 42

• الحركة الوطنية التونسية والمسألة العمّالية النّقابية
(1894 - 1956) : محمّد لطفي الشّايبي 44

من الذّاكرة

• إنصافا لمحمّد عطيّة... 46
بقلم عبد الحفيظ الهرقام

من التّاريخ

• حسناء جنوة التّي غيّرت تاريخ الدّولة الحسينيـّة (الجزء الثاني) 48
بقلم مختار المستيسر

• أضواء على المؤتمر الخامس للحزب الحرّ الدستوري التونسي
(صفاقس 15 – 19 نوفمبر 1955) 52
بقلم محمّد لطفي الشّايبي

فنون وآداب

• محمـود السّهيلي، شاهدا على العصر 58
بقلم علي اللواتي

• صوفية القلّي: كانت شعلة فانطفأت 62

بطاقة

• رحلة في السّنوات 64
بقلم الصّحبي الوهايبي

استهلال

تلقّت مجلّة «ليدرز العربيّة» رسائل تهنئة بمناسبة صدور عددها الأوّل، بعث بها جمع من الشخصيات الوطنيّة ومن أعضاء السلك الدبلوماسي والقراء، استحسنوا فيها مضامين المجلّة وإخراجها الفنّي. ولا شكّ أنّ هذه الأصداء الطيّبة ستحفّز القائمين عليها وأسرة تحريرها إلى المثابرة ومواصلة الجهد من أجل كسب الرهان وتقديم الإضافة المرجوّة.

ليدرز العربية Leaders

ملحق خاص باللّغة العربيّة
يوزّع مجانا مع مجلّة ليدرز

المدير المسؤول
توفيق الحبيّب

مستشار التّحرير
الهادي الباهي

هيئة التّحرير

عبد الحفيظ الهرقام
منسّق عام

• احميده النّيفر • رشيد خشّانة • محمّد العزيز ابن عاشور
• عبد اللطيف الفوراتي • محمّد ابراهيم الحصايري
• محمّد المغربي • عادل الأحمر • منذر بالضيافي
• رشيد السلامي • الصحبي الوهايبي • عامر بوعزّة
• مصطفى بن تمسّك • محمّد لطفي الشايبي
• توفيق جابر • المختار المستيسر • العادل كمّون
• العادل كعنيش • محمّد رؤوف بلحسن • يوسف قديّة
• علي اللواتي• سميرة شتيلة • هاجر الأيّوبي • نجاح الخرّاز

مدير التصميم
أحمد الشارني

غرافيك
رائد بوعزيز

صور
محمّد الحامّي • أنس عبيد • آمال قلاّتي
• حقوق محفوظة

مراجعة النّصوص
عمر بنقاسم

فيديو
مروى العيّادي • مروى مقني

التسويق والإتصال
جيهان واز
بوران النّيفر

الإدارة والتوزيع والاشتراكات
فيصل المجّادي • حمدي المزوغي

الاسناد
• شوقي الرياحي • الحبيب العبّاسي
• لمياء عليّات • ليلى منيف

طباعة
سامباكت

PR Factory

مجمّع النّور ، مدينة العلوم،
صندوق بريد 200، حي المهرجان 1082، تونس
الهاتف: 111 232 71 - فاكس: 333 750 71

www.leaders.com.tn
marketing@leaders.com.tn
redaction@leaders.com.tn

ميّا الجريبي

نوبل

سوريا

قائد السبسي في قصر فاروق

حرص الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي على إحاطة ضيفه الرئيس الباجي قائد السبسي بعديد مظاهر الحفاوة والترحاب، إذ خصص لإقامته قصر القبة الذي بناه الخديوي اسماعيل وهو تحفة معمارية رائعة، ويقع في ضواحي القاهرة وسط حديقة فسيحة غنّاء وقد اقام فيه الملك فؤاد احتفالات وحفلات زفاف فاخرة قبل ان يخلفه نجله الملك فاروق. وجاء نمطه المعماري على طراز افخم القصور الاوروبية ويتوفر على صالونات وأجنحة فاخرة تتولى مصالح الرئاسة المصرية صيانتها بكل عناية.

وقد سجيّ فيه جثمان الرئيس عبد الناصر قبل دفنه، كما شهد عديد المحطات الهامة في تاريخ مصر الحديث.

البنك الوطني الفلاحي
BNA

BNA إدخار الوفاء

إدّخار الوفاء
الخير و البركة

دفتر حساب **إدّخار الوفاء**، يوفر لكم:

- إدّخار آمن و مربح يمتّعكم كل ثلاثة أشهر
- بـفوائض هامّة.
- بـمنحة إدّخار مميّزة تصل إلى 35 % من الفوائض*.

- إدّخار حر و مرن
- الايداع و السّحب بكل أريحية لدى جميع فروع البنك.

*حسب مبلغ و مدّة الادّخار.

للمزيد من المعلومات زوروا موقعنا: www.bna.com.tn أو اتصلوا بأحد فروعنا.

العنوان : نهج الهادي نويرة 1001 تونس الهاتف : 200 831 71 216+ / 000 831 71 216+ الموزع الصوتي : 20 00 40 88 البريد الالكتروني: bna@bna.com.tn الرقم الأخضر : 505 100 80

UN TEMPÉRAMENT D'AVANCE

MAZDA3 HATCHBACK

mazda

Alliance parfaite entre performance et efficacité, la Nouvelle Mazda3 est la digne héritière du savoir-faire automobile de Mazda. Son design primé séduit d'emblée le regard. La carrosserie élégante va de pair avec le vaste éventail des technologies révolutionnaires et les équipements de sécurité qui contribuent à créer une expérience de conduite exceptionnelle, toute aussi dynamique qu'harmonieuse.

WWW.MAZDA.TN

Economic-Auto : Tunis - Ben Arous - Sousse - Sfax - Gabès - Bou Salem - Gafsa
Réseau d'agents agréés : Bizerte - Sfax - Djerba
Tél. : 31 305 815

www.facebook.com/mazdatunisie

@mazdatunisie

متألقون في السربون وهارفارد

حظي الاستاذ عياض ابن عاشور بإلقاء الدرس الافتتاحي لمدرسة القانون بجامعة باريس – السربون، موفى شهر سبتمبر الماضي، وقد خصص محاضرته لموضوع كونية القانون الديمقراطي، وذلك بالمدرج الرئيسي للسربون وبحضور عديد الشخصيات الفرنسية والأساتذة المرموقين وفي طليعتهم وزير العدل الاسبق روبار بادانتار.

وفي الفترة نفسها، كان الأستاذ غازي الغرايري ضيف الشرف في جامعة هارفارد الامريكية، وتناول في محاضرته على منبر مجموعة الدراسات حول الشرق الاوسط لمدرسة كينيدي «الانتقال الديمقراطي في تونس بين المنجزات والاكراهات والتحديات».

هذا، ويتلقى عديد الجامعيين التونسيين المتميزين عديد الدعوات الصادرة عن جامعات دولية مرموقة لتقديم تحاليلهم حول التجربة التونسية.

لقاء قرطاج للتأمين

لئن لم تتوفق تونس الى اليوم في أن تصبح مركزا ماليا نشيطا في جنوب المتوسط، فإنّها تسعى دوما لاحتضان التظاهرات المختصة، وهي تتأهب حاليا لاحتضان فعاليات الدورة الثالثة عشرة للقاء قرطاج للتأمين وإعادة التأمين. وبيّن السيد لسعد زروق، رئيس الجامعة التونسية لشركات التأمين، أنّ هذا اللقاء الذي ينتظم من 8 الى 10 نوفمبر الجاري سيكون تحت شعار «التأمين والاستثمار والتنمية» يحضره العاملون في القطاع من الوطن العربي وأوروبا وعديد الأسواق العالمية الأخرى.

جلول عيّاد في أوبيرا جديدة تحتفل بجائزة نوبل

وزير المالية الاسبق جلول عيّاد، المعروف أيضا بإبداعه الموسيقى، يعكف حاليا على صياغة أوبيرا جديدة يساهم بها في احتفال تونس بإحراز الرباعي على جائزة نوبل للسلام. ومن المزمع أن يكون أولّ عرض في تونس قبل الانطلاق نحوعديد العواصم الدولية.

دفع جديد للعلاقات مع إيران

زيارة وزير الخارجية الإيراني، محمّد جواد نظيف، إلى تونس في موفّى أوت الماضي أعطت دفعا جديدا للعلاقات الثنائية، وفتحت آفاقا رحبة أمام التعاون الاقتصادي. ومن المنتظر أن يتحوّل كاتب الدولة للشؤون العربية والأفريقية، التوهامي العبدولي، في مطلع شهر ديسمبر إلى طهران، على رأس وفد هامّ من رجال الاعمال.

بين فرحات الدشراوي وبورقيبة

ما هو تقييم الاستاذ فرحات الدشراوي، الجامعي والقيادي النقابي ووزير الشؤون الاجتماعية الاسبق في حكومة الهادي نويرة، لممارسة الرئيس بورقيبة للسلطة ولتعامله مع السلط المضادة التي واجهته؟ جاء ذلك في كتاب وضعه قبيل وفاته في سنة 2007، وتنشره لأوّل مرّة هذا الشهر دار نيرفانا.

يتناول المؤلف بعمق تفرّد بورقيبة بالحكم طوال ثلاثة عقود وبالمقابل الدور الذي قامت به المعارضة الوطنّية وخاصة منها حركة الديمقراطيين الاشتراكيين بقيادة أحمد المستيري وحركة الوحدة الشعبية التي أسّسها أحمد بن صالح والحزب الشيوعي بقيادة محمد حرمل ومحمد النافع وغيرهما. كما يتضمّن الكتاب سلسلة من الوثائق التاريخية الهامّة.

في أبيدجان، على خطى بورقيبة

خمسون عاما تمرّ في موفى شهر نوفمبر الجاري على الرحلة الافريقية التي قام بها الرئيس الراحل سنة 1965 الى عشرة بلدان من جنوب الصحراء، كانت السينغال والكوت ديفوار بالخصوص أهم محطاتها، وأسّست لإنشاء عديد السفارات التونسية بها. وتخليدا لهذه الرحلة، تطلق وزارة الشؤون الخارجية التونسية مبادرة متنوّعة الابعاد، السياسية منها والاقتصادية والثقافية، يشرف على تنسيقها السيد التوهامي العبدولي، كاتب الدولة للشؤون العربية والأفريقية، والذي سيعطي إشارة انطلاقها من عاصمة الكوت ديفوار ابيدجان.

لإرسال جميع طرودكم المستعجلة في مجال الاستيراد والتصدير
اختاروا الشركة الرّائدة عالمياً في قطاع التسليم السريع
و ذلك عن طريق خطّها الجّوي المنتظم 24 ساعة /24 كامل أيام الاسبوع
مع ضمان التسليم في أقل من 24 ساعة في كل دول أوروبا

ups

EXPRESS LOGISTIC

Spécialiste du transport Express International

Call center : 82 107 777

www.ups.com

رؤيتنا أن تكون فيفو إنرجي شركة الطاقة

أنشئت **فيفو إنرجي تونس** (شال تونس سابقا) سنة 2011، وقد كانت العلامة التجارية «شال» موجودة في تونس منذ أكثر من 93 عاما.

فيفو إنرجي هي الشركة التي تسوق الوقود وزيوت التشحيم تحت علامة شال التجارية في 16 بلدا في إفريقيا. و تتكفل فيفو إنرجي بالأنشطة التالية : محطات الخدمات شال وزيوت التشحيم شال وغاز البترول المسيل تحت العلامة التجارية بوطاغاز والأسفلت.

الأكثر احتراما من قِبل محيطها في إفريقيا

وهي شركة رائدة في قطاع المحروقات وخاصة في الدفاع والحفاظ على معايير السلامة في مجال توزيع المنتجات البترولية.

رؤيتنا أن تكون فيفو إنرجي شركة الطاقة الأكثر احتراما من قِبل محيطها في إفريقيا. وهدفنا هو خلق مؤسسة متميّزة، تركز على فاعلية الأداء، وتكون قادرة على توفير فرص دائمة لحرفائها وشركائها وكافة مكوّنات محيطها.

www.vivoenergy.com VivoEnergyTN Vivo Energy Tunisie

VIVO ENERGY TUNISIE

يتمّ تسويقها بترخيص

جائزة «نوبل» للسلام
الرمزيّة والدلالة

الآن وقد تجاوزنا لحظات الفرح الذي غمر البيوت والقلوب في تونس بالتكريم الدولي الذي نالته بلادنا بعد إسناد جائزة «نوبل» للسلام للرباعي الراعي للحوار الوطني، قد يكون من المفيد أن نمعن النظر في ما تحمله هذه الجائزة في طياتها من قوّة الرمزيّة وعمق الدلالة في هذا الظرف بالذات وأن نحلّل بتأنّ وتبصّر انعكاساتها على واقعنا اليوم وغدا. فالجائزة، تكافىء، بقيمتها الاعتباريّة الكبرى، منهجا قويما في التفكير السياسي وتمشّيا صائبا في إدارة الشأن العام وتعاملا حكيما مع خصائص المرحلة الانتقاليّة في تونس، بما يكتنفها من مصاعب وتشيعه من آمال، وبما تقتضيه من تقدير للأولويات في تحديد الخيارات التي تؤمّن طريق المستقبل.

ففي الجائزة، أوّلا، رسالة مباركة لمنحى التوافق الذي نهجته القوى السياسيّة وأطراف فاعلة في المجتمع المدني، في أواخر سنة 2013، بالاحتكام إلى رباعي الحوار، لإيجاد مخرج للأزمة الخانقة التي كانت تعيشها البلاد آنذاك، ممّا جنّبها الانزلاق نحو الفتنة والاحتراب الداخلي، كما هي تشجيع للتونسيين ونخبهم، على مختلف مشاربهم السياسيّة وتوجّهاتهم الفكريّة، على المضيّ قدما على درب الحوار والوفاق لإيجاد الحلول المقبولة للمشاكل القائمة مهما كانت مستعصية.

ثمّ إنّ في الجائزة رهانا متواصلا على نجاح تجربة ديمقراطيّة وليدة وتعبيرا عن أمل وطيد في أن يكون الربيع التونسي مثالا رائدا يحتذى به في المنطقة

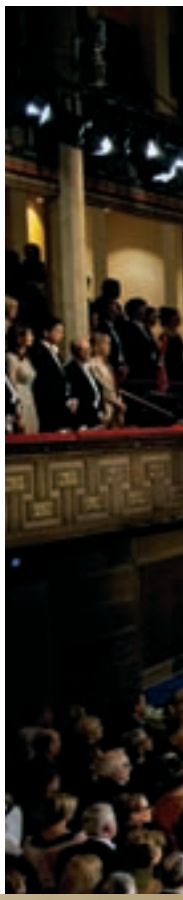

العربيّة بخصوص تكريس التعدديّة السياسيّة وإرساء قواعد الحوكمة الرشيدة وضمان الحريّات العامّة واحترام حقوق الانسان وتجسيم مبادئ الكرامة والعدالة الإجتماعيّة.

ولا شكّ أنّ من الرسائل الهامّة التي نستقرؤها من خلال هذا التكريم تأكيد التضامن مع بلادنا في ما تواجهه من تحديّات متفاقمة، في ظل أوضاع اقتصاديّة واجتماعيّة وأمنيّة ما زالت هشّة، فضلا عن طمأنة الرأي العام الوطني بأنّ تونس لن تسقط فريسة في يد الإرهاب وبأنّ الأمل قائم في أن يستعيد الاقتصاد عافيته، وتنهض السياحة من كبوتها بعد ما لحقها من أذى العمليات الإرهابيّة ويعود الاستثمار الداخلي والخارجي إلى سالف نشاطه.

وفي رسائل المساندة والتضامن والأمل هذه، الموجّهة إلى شعب أصابه الإحباط وغدا يشكّ في حاضره ومستقبله، ما يحفّز الحكومة والقوى السياسيّة والاجتماعيّة لانتهاز هذه الفرصة التاريخيّة من أجل انطلاقة جديدة للعمل الوطني في مختلف المناحي العامّة. ولعلّ من أوكد الأولويات الاستفادة من ترحيب المجموعة الدوليّة بمنح تونس هذه الجائزة لإعادة صياغة دورنا الديبلوماسي الذي تراجع في السنوات الأخيرة، دعما لمجهودنا الاقتصادي وتعزيزا لاشعاعنا إقليميّا ودوليّا، والعمل على جلب رؤوس الأموال الأجنبيّة تنشيطا لحركة الاستثمار والدخول في مرحلة تنفيذ برامج محدّدة ومرقّمة في سبيل تغيير جذري في قطاعات حيويّة مثل التشغيل والتعليم والصحّة والنقل والبنية الأساسيّة. إنّ الشعب التونسي الذي ضجر من الفوضى والتسيّب والاحتجاجات الاجتماعيّة وتدهور الأوضاع البيئيّة، والذي تعاني فئاته المهمّشة الفقر والبطالة والإقصاء ينتظر هبّة من سائر الأحزاب والأطراف السياسيّة والاجتماعيّة لتغيير حياته نحو الأفضل.

لقد سئم العديد من التونسيّين السياسة ومناوراتها وتجاذباتها وفقدوا الثقة في أهلها،وأصبحوا يعرضون عن متابعة الحوارات السياسيّة الصاخبة على شاشات القنوات التلفزيّة، متمنّين لو تتغلّب مصالح الوطن العليا على المصالح الشخصيّة والفئويّة الضيّقة ويثوب كلّ من اختار نهج المزايدة والقنص السياسي إلى رشده، بما يقي البلاد العثرات ويبعد عنها مخاطر الفرقة والانقسام.

لا جدال في أنّ جائزة «نوبل» للسلام تحمّل رباعي الحوار الوطني، ومن خلاله سائر القوى السياسيّة والاجتماعيّة في البلاد مسؤولية أخلاقيّة جسيمة تتمثّل في الحفاظ على ما غنمته تونس بفضل هذه الجائزة من رصيد ثقة وتقدير...

فهل سيتلو فرح الشعب التونسي بالجائزة فرحه بعودة الوعي إلى نخبه السياسيّة؟.■

ع.هـ .

■عبد الفتّاح مورو لوزيرة السّياحة سلمى اللّومي الرقيق: «أنا...أمّد يدي للمصافحة».

■ناجي جلّول: «هذا هو أسلوبي».

■ الباجي قايد السّبسي: «انتوما مستقبل تونس».

■ الحبيب الصّيد لوزير الدّفاع فرحات الحرشاني: «الوقت من ذهب».

بين المصالحة و المحا

بقلم الأستاذ عادل كعنيش

يثير مشروع قانون المصالحة الاقتصادية جدلا كبيرا بين مساند ومعارض، إذ يتمسك المعارضون له بأنّ الدولة ملزمة بتطبيق منظومة العدالة الانتقالية في جميع المجالات، فقد وضعت الفقرة التاسعة من الدستور على كاهل الدولة التزاما دستوريا يصنّفه البعض على أنّه التزام بتحقيق نتيجة، فليس لها حسب تصوّرهم الحقّ في التصرف في هذا الالتزام كما تشاء، كالتخلي عنه أو إحداث مسار مواز، فهي ملزمة بتطبيق آليات العدالة الانتقالية عبر دعم صلاحيات هيئة الحقيقة والكرامة، وإزالة العراقيل من طريقها.

ولكن

نسي هؤلاء المعارضون أن هيئة الحقيقة الكرامة قد وقع تنظيمها بموجب قانون ، فليس هنالك مانع قانوني من سنّ تشريع جديد يمنح آليات المصالحة في خصوص الجرائم الإقتصادية والمالية لهيئة أخرى ، فالمشرع لم يمنح لهيئة الحقيقة و الكرامة اختصاصا حصريا ومطلقا في منظومة العدالة الانتقالية، فهي هيكل من الهياكل المنصوص عليها بالفصل السابع من قانون العدالة الانتقالية وبالإمكان إحداث آلية أخرى للمصالحة عن طريق قانون جديد يقع سنّه .

لماذا هذا القانون؟

بدأ التفكير في سنّ قانون للمصالحة الاقتصادية بعد أن تبيّن أنّ هنالك بطئا كبيرا في معالجة الملفّات المتعلّقة بالفساد المالي والاعتداء على المال العام ، و لا يمكن النظر في هذه الملفّات إلّا خلال سنوات عديدة وهو ما سيزيد الوضع الاقتصادي تأزّما، فتمّت استشارة عديد الخبراء في القانون الدستوري الذين أجمعوا على أنّ سنّ قانون جديد للمصالحة الاقتصادية لا يشكّل أيّ خرق لقواعد الدستور، لذلك بدأ التفكير منذ بداية الصائفة الماضية في إعداد مشروع لقانون المصالحة الإقتصادية ، فوقع التمييز بين الموظّفين العموميين و أشباههم الذين قاموا في الحقيقة بتنفيذ تعليمات مرؤوسيهم، و بالتالي فإنّهم يتمتعون بقرينة البراءة التي جاء بها الفصل 42 من المجلة الجزائية. وينصّ هذا على أنّه «لا مسؤولية لمن قام بتنفيذ تعليمات من السلطة التي لها النظر» فوقع إعفاؤهم من التّتبع ، وبين مرتكبي انتهاكات الفساد المالي الذين منح لهم مشروع القانون الحق في إبرام صلح ، لكن من المؤكد أن النقاش الذي سيحصل بمجلس نواب الشعب سيؤدي إلى إصلاح بعض النقائص حتّى لا يتفصّى من المسؤولية الموظفون الذين تلقّوا رشاوى أو عطايا و ذلك للقيام بأعمال غير قانونية، فلا بد من التمييز بين الموظّف الذي قام بآداء وظيفة و نفّذ تعليمات السلطة الإداريّة التي هي أعلى منه، و بين الموظّف الذي قام بهذا العمل حتى يحصل على منفعة شخصية .

أما من ارتكب جرائم القتل والتعذيب والاغتصاب ، فإن هؤلاء ليسوا معنيين من قريب أو بعيد بقانون المصالحة الاقتصادية ، بل إنّ هؤلاء ستكون ملفاتهم من مشمولات هيئة الحقيقة والكرامة.

اقتضى مشروع قانون المصالحة الإقتصادية امكانية اجراء رقابة قضائية لاحقة على أعمال لجنة المصالحة، وهو أمر لا يشكّل أيّ خرق لأحكام الدستور الذي منح لكلّ شخص حقّ الالتجاء للقضاء على درجتين.

المآخذ بشأن مشروع القانون

تراءى للبعض أنّ هذا المشروع هو متضارب مع احكام اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد المصادق عليها بموجب القانون عدد 16 المؤرخ في 29/02/2008 والرامية الى كشف الفساد وردعه، وأنّ هذه الإتفاقية لها علويّة على القانون الداخلي طبق الفصل 20 من الدستور، لكن غاب عن هؤلاء أنّ قانون المصالحة الاقتصادية سوف يضمن كشف حقيقة الفساد والضالعين فيه ، لكن مع إمكانية إجراء مصالحة يقع إجراؤها تماشيا مع الوضع الاقتصادي الخطير الذي تمرّ به البلاد، وقد سلكت دول قريبة منا كإيطاليا والمغرب مثل هذا الأسلوب حتّى تتمكن من ضخّ جانب كبير من الأصول المالية في الدورة الاقتصادية، مقتصرة على توقيع عقوبات مالية على المخالفين تراوحت بين 10% و12% من قيمة هذه الأموال.

لقد راعت السلطة السياسية في تونس المآخذ التي تمسك بها البعض إزاء هذا المشروع و بدأت تبحث من الآن عن تحديد قيمة الأموال التي كان مصدرها فاسد وذلك حتّى يكون الرأي العام خاصة على علم بأهميتها، ويبدو أنّ اللجنة التي يجري التفكير في بعثها، والمتألفة من خبراء في الشؤون المالية والاقتصادية والمحاسبية على غرار السادة

سبة: المعادلة الصعبة

عزالدين سعيدان ومعز الجودي وشكري المامغلي وفيصل دربال وأحمد بالعيفة، سيكون بإمكانها تحديد قيمة الأموال الفاسدة، وذلك عبر مراجعة حسابات البنوك العموميّة والإدارة العامة للقمارق ووزارة المالية وكذلك الأحكام القضائية المتعلقة بالتسويات القضائية والرضائية التي صدرت عن مختلف المحاكم، وهو ما قد يفسّر أسباب التأخير في عرض المشروع على مجلس نواب الشعب، إذ أنّه على أغلب الظن سوف لن يعرض هذا المشروع إلا في بداية السنة المقبلة وهي فرصة كافية لأعضاء اللجنة للوقوف على جوانب عديدة تخصّ التجاوزات التي حصلت .

في تحديد حجم الفساد

إن جزءا كبيرا من الفساد جاء من خلال طرح جبائي عن طريق أوامر رئاسية صدرت لفائدة أشخاص معنيين أو أحكام قضائية طرحت جزءا كبيرا من الديون دون وجه قانوني أو صفقات مشبوهة أو عمليات توريد تمت بطريقة غير قانونية. ويمكن لهذه اللجنة أن تتوصل إلى إعداد تصوّر تقريبي لحجم الفساد المالي حتى تتمّ المصالحة على ضوئه، مع الإشارة إلى أنّ هذه التجاوزات تواصلت حتى بعد قيام الثورة. لكن الأمر وإن يبدو يسيرا بالنسبة إلى تحديد قيمة التجاوزات المالية، فانه يبدو صعبا للغاية في خصوص تحديد قيمة الأصول المالية بالخارج الراجعة للتونسيين المقيمين، خاصّة وانّ الكثير منهم قد عمدوا إلى بعث مشاريع اقتصادية خارج تونس، فأصبحوا يتمتعون عن طريق شركاتهم بوضعيّة المقيم بالخارج، وهو ما سيجعل الوضع معقّدا إلى درجة كبرى، ولا يمكن أن يضمن رجوع هذه الأموال لتونس إلاّ إذا حصلت مصالحة حقيقية وعادت الثقة في مؤسسات البلاد ورجع الاستثمار الى نسقه العادي، وهو أمر يحتاج إلى مجهود وطني سوف لن يعطي ثماره إلا بعد سنوات عديدة .

إنّ بعث اللجنة، التي يبدو أنّ رئيس الجمهورية استقبل مؤخرا أعضاءها المحتملين سيزيل احتراز العديد من المعارضين لهذا المشروع، الذين نادوا بضرورة المحاسبة قبل المصالحة، إذ ستتمكّن هذه اللجنة، إذا ما وقع بعثها نهائيا، من حصر قيمة الأموال المشبوهة في مدة زمنية قصيرة لا تتجاوز بضعة أشهر، حتى لا تكون المصالحة مقامة على مجرد تصريح تلقائي من المعنيين بالأمر، بل نتيجة معطيات قريبة جدا من المعطيات الحقيقية التي تتوفّر لأعضاء اللجنة من خلال مراجعتهم للمنظومات الإعلامية لمختلف الإدارات المعنية .

فوائد المصالحة الاقتصادية

ويتوقّع بعض الأخصائيين في السوق المالية، أنّ هذه المصالحة الاقتصادية ستضمن مردودا ماليا لصندوق الدولة لا يقلّ عن المليار دينار ولا يزيد عن المليارين، مع الإشارة إلى أنّ قانون المصادرة قد وفّر وسيوفّر لخزينة الدولة حوالي تسعمائة مليون دينار، فتكون آليتا المصالحة والمصادرة قد أنعشتا صندوق الدولة بمبلغ يتراوح بين المليارين والثلاثة مليارات من الدنانير، يكون من المفروض تخصيصها للاستثمار الداخلي وليس للتصرف. ولا جدال في أنّ هذا القانون قد حصل انقسام كبير في شأنه بين مختلف العائلات السياسية وهذا الانقسام نلمسه من خلال التعبئة التي تقوم بها بعض الأحزاب والتيارات السياسية، لكنّ فوائده تبدو أهمّ بكثير من مساوئه، لأنه سيمكن من ضخّ أموال هامّة بخزينة الدولة هي في اشد الحاجة إليها. كما سيمكن من إجراء مصالحة مع جزء كبير من رجال الأعمال، الذين من دونهم سوف لن يقدر الاقتصاد الوطني على الإقلاع من جديد.

نعتقد أنّه ليس من خيار إلاّ الحلول المؤلمة لإنهاء بعض المشاكل المعقّدة، والشعوب التي تتجاوز خلافاتها، وتنزع الأحقاد من بين مواطنيها، وتفتح أبواب الأمل للجميع، هي التي يكون النجاح حليفها في نهاية المطاف، كما أكّدته تجارب العديد من البلدان الأخرى التي مرّت بظروف شبيهة بالظروف التي نعيشها.■

ع.ك

> إنّ بعث اللجنة، التي يبدو أنّ رئيس الجمهورية استقبل مؤخرا أعضاءها المحتملين سيزيل احتراز العديد من المعارضين لهذا المشروع، الذين نادوا بضرورة المحاسبة قبل المصالحة، إذ ستتمكّن هذه اللجنة، إذا ما وقع بعثها نهائيا، من حصر قيمة الأموال المشبوهة في مدة زمنية قصيرة لا تتجاوز بضعة أشهر.

ميّا الجريبي
تخرج عن صمتها

وراء بنية جسديّة رقيقة، تتخفّى شخصيّة تنكشف لك بجلاء ملامحها ما إن تستمع إليها .. يبين حديثها، الذي يمتزج فيه عمق التحليل بالفصاحة، ثراء التجربة النضاليّة ومتانة التكوين السياسي وسعة الأفق الثقافي، فضلا عن الجرأة في الإصداع بالرأي والقدرة على مقارعة الحجة بالحجة. فهي شخصيّة جذّابة وقويّة في آن، بما تتميّز به من سرعة البديهة وتوهّج الفكر ووضوح الرؤية من جهة، وثبات على المبدإ واستماتة في الدفاع عن الموقف وعزم راسخ على بلوغ الهدف، من جهة أخرى.

هكذا تتراءى لنا صورة ميّا الجريبي، المرأة المكافحة في مجالات السياسة وحقوق الإنسان والعمل الجمعياتي والمؤمنة بقيم الحريّة والعدالة والكرامة التي قامت من أجلها الثورة التونسيّة. كلّ هذه الصفات جلبت للأمينة العامّة للحزب الجمهوري احترام وتقدير النخب السياسيّة وعديد التونسيين والتونسيات على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم. يكفي أن نتأمّل مسيرتها، منذ أن دخلت الجامعة، لندرك أنّها أقرب ما يكون إلى قصّة مثيرة، فيها من التقلّبات والمنعرجات ما يجعل عنوانها: الإصرار والتحدّي... وتقديرا لهذه المسيرة النضالية تولّى رئيس الجمهورية السيد الباجي قائد السبسي توسيمها يوم 13 أوت الماضي، فنالت بذلك شرف تكريمها وطنيا.

ولئن احتجبت عن الأنظار وغابت عن الساحة السياسية لأشهر، بسبب المرض، فهاهي تعود كما عهدناها إلى سالف نشاطها مقرّة العزم على المضيّ قدما في سبيل الإسهام في تكريس الحقوق والحريات في تونس.

مع ميّا الجريبي، المرأة الفولاذيّة، كان لنا هذا الحوار. ←

اللحظات القوية في المسيرة الثـورة !

Ben Ali ! Dégage !

Saint-Nazaire
La Baule

ouest france

La chute de Ben Ali

Juchée sur les épaules des membres du Parti Démocratique Populaire, la Pasionaria tunisienne Maya Jribi peut enfin faire le signe de la victoire. Elle mériterait bien d'être élue première Dame Présidente de la République de la Tunisie.

Bravo Maya et bonne route ! Si Christian

أعجبني ممّن، بسبب ما آلت إليه الأمور، يقلل من أهمية و عظمة تلك اللحظة التاريخية التي عاشتها تونس بين ديسمبر 2010 وجانفي 2011 والتي لم تأت من فراغ، مهّد لها الكثيرون، بالتحركات والاحتجاجات الصغيرة والمحدودة، والتي بترابطها وتراكمها، أدت إلى ما أدت إليه من وعي جماعي بضرورة التغيير، بضرورة كسر القيود، مهّد لها الكثيرون، بعضهم في صمت، بعيدا عن الأضواء، برفضهم الانخراط في مسار الفساد و الإفساد (وللتذكير، هؤلاء الأبطال الصامتون هم كثر في الإدارة التونسية، على عكس ما يسوق له المدافعون عن مشروع قانون المصالحة الذي يقدم الموظفين و كأنهم من طينة واحدة: طينة من لا يقدر على رفض التعليمات)، مهّد لها الكثيرون بمعاناتهم في مواجهة التعذيب والسجن و التفقير و الطرد التعسفي برؤوس مرفوعة، مهّد لها الكثيرون عندما لم يبق من وسيلة للاحتجاج و لفت الاهتمام للوضع التونسي إلا الأجساد، فراحوا يطلقون إضرابات الجوع الواحد تلو الآخر ....إلى درجة أن رشيد خشانة عنون أحد مقالاته الافتتاحية بجريدة الموقف بمانشات عريضة «تونس عاصمة لإضرابات الجوع»، مهّدت لها انتفاضة الحوض المنجمي، مهد لها السياسيون والنقابيون والفنانون والمبدعون و الشباب والنساء... ترابطت كل المبادرات والتحركات والإعلانات لتحدث حالة من ضرورة التغيير، من ضرورة البحث عن متنفس يقول للتونسيين إنهم جديرون بالحياة الكريمة.

لحظات مهمّة في مسيرتي النضالية؟

لن أنسى تلك النقاشات المصيرية حول محاور التغيير والتي كانت تشق كل المجتمع السياسي، هل لنا القدرة على مواجهة رأس السلطة و النضال من أجل التداول السلمي على الحكم، و تغيير النظام السياسي على أساس مبادئ الحرية و المساواة، ودولة القانون و الفصل بين السلطات و ترسيخ مبادئ المواطنة (وهي كلّها قضايا كانت في أجندة الحزب الديمقراطي التقدمي) ؟ أم نحن غير قادرين على ذلك فنكتفي بتدرج بطيء يطرح القضايا «المسموح بها»؟... التاريخ والشباب المنتفض وشهداء الثورة بيّنوا أن الطرح الأول هو السليم و أن ذاك ما كانت تحتاجه تونس: تغيير جذري و آفاق جديدة للوطن و المواطنين، فالمتابع للشأن السياسي ما قبل الثورة لا يمكن له أن يتغافل عن لحظة مهمّة في هذا المسار ألا وهي إضراب الجوع لثماني شخصيات وطنية من مشارب وتجارب سياسية مختلفة، تلتقط القمة العالمية للمعلومات المنعقدة في تونس مناسبة لتسليط الضوء على أوضاع الحريات وللمطالبة بما أسميناه آنذاك «الأدنى الديمـــقراطي LE SMIG DÉMOCRATIQUE»، الأهميّة التي اكتساها هذا التحرك الذي استقطب، ودون مبالغة، اهتمام العالم أجمع، لا تكمن فقط في المطالب التي عبّر عنها، وإنما أيضا في صورة تونس التي نحلم بها والتي تجلت من خلاله: شخصيات وطنية من مدارس قومية ويسارية وإسلامية و ديمقراطية عامة تلتقي حول عهد سياسي فكري لما يجب أن تكون عليه تونس الحداثية و الديمقراطية والعربية المسلمة، تونس التعايش والعدالة

■ ميّا الجريبي في إضراب جوع

■ ميّا الجريبي وأحمد نجيب الشّابي في إضراب الجوع بمقرّ الحزب الديمقراطي التقدّمي

والكرامة الإنسانية و الانفتاح و التقدم... كانت لحظات مهمّة في مسيرتي النضالية ولكن، و الأهم مني أنا، كانت لحظات أساسيــة في مسيرة تونس التي كانت تتلمّس طريقها نحو التغيير و أزعم أن عمق هذه النقاشات قد مهّد لحوار الدستور بعد الثورة، لحظات قوية أخرى وتبقــى حيــة في مخيلتـي طيلة حياتي ...لحظة بلغنا خبر اغتيال شكري بلعيد ... وبعدها بأشهر خبر اغتيــال محمد البراهمي...يا إلاهي! هــل وصلنا في تونس إلى حد الاغتيال؟ أمر لا يصدق !

من ذا الذي لا يقبل باستقرار تونس؟ من ذا الذي يجند المرتزقة أو مغسولي الأدمغة ليدخل تونس في دوامة العنف؟ أسئلة لا تزال إلى اليوم تنتظر الجواب رغم التزام الحاكمين في حملاتهم الانتخابية بإماطة اللثام على هذه المأساة التي عاشتها بلادنا، لكن يبدو أنها لم تعد من أولوياتهم !

صور فظيعـة فرضت نفسهـا علينا كلّنا، صور التناحـر والحروب الأهلية، صور العنف الأعمى، صـور كل المخاطر التي تتهدّد بلـدا يعيش الاغتيـالات !

صور لم تزحها إلا تلك التي في كل مرة تأتي لتبيّن نبل مشــاعر هذا الشعب المتماســك و المــوحد

رغــم كل شيء: أمواج متلاطمة من المواطنين، نساء، رجالا، فقراء، أغنيــاء، مــن كل الجهات خــرجت بكلمــة واحــدة، بصورة واحدة: لا للعنف، تونس ستبقى الصخرة التي تتكسر عليهــا كل محاولات ضــرب الاستقرار، صور بيّنت أن تــونس لا تخــاف الإرهــاب بل تواجهه مــوحــدة، متفائلة، مصــرّة، مثــابــرة. تلك هي تونس و لــن تتغيــر رغــم التعــثرات والهــزات، و تلك هي الصــور التي هي نبراسي ومنبع تفاؤلي الــدائم.

الإنجازات و مبعث الافتخار

أنا من مدرسة «نحن» و لست من مدرسة «الأنا»... صعب علي أن أذكر مصدر افتخار شخصي في المسار السياسي، فالإنجازات جماعية أو على الأقل وليدة مسار جماعي، و هذا لا ينزع عنها مسحة الخصوصية والمشاعر الشخصية.

فخورة بأني تونسية، بأنّي امرأة، بأنّي مناضلة، بأنّي في حزب آمن بأنّ التونسيين مواطنون لا رعايا و بأنّ تونس أفضل ممكنة: تلك هي المشاعر التي انتابتني و أنا مع رفاقي أمام وزارة الداخلية ذات 14 جانفي 2011... كنت أهاتف أحبتي و أنا في شارع بورقيبة (و كثير منهم لايزالون يستذكرون معي هذه المكالمات)لأقول لهم: «قد لا تكتب لنا الحياة بعد هذا اليوم لذلك عاهدوني أن تبلغوا للعالم أجمع أن التونسيين كسروا قيود الخوف والاستكانة، أن الشعب التونسي سائر نحو الحرية....» كانت لحظات جميلة وأجمل منها هذا التلاحم بين الجميع، كانت لحظات سياسية بامتياز، تطالب عبر شعارات بسيطة و لكن ما أعمقها، بالحرية وبالشغل، وبالحوكمة الرشيدة... تلك هي ثورة تونس التي ما زالت إلى اليوم تنتظر الاستكمال.

وتوالت الأيام و خضنا انتخابات 2011 و جاءت نتائجها واضحة...وتساءل التونسيون عن مصير وطنهم و عن مصير مكاسبه... و ساد الإحباط شرائح واسعة من التونسيين و بدأت بوادر تقسيم التونسيين تتأكّد في ظلّ تعنّت و استعلاء الفائزين بالانتخابات، الذين لم يفهموا أن الديمقراطية قبل أن تكون حكم الأغلبية (فهذا بديهي) فهي ضمان حق الأقلية ... و كنت من هذه الأقلية المتمسكة بحقوقها و المصرّة على إنقاذ الديمقراطية الناشئة ... و جاء افتتاح أشغال المجلس الوطني التأسيسي الذي انطلق بانتخاب رئيسه، في ظلّ دعوات تريد وأد الديمقراطية في المهد، فقد قيل لنا: «لا معنى للمعارضة في زمن الانتقال الديمقراطي»...

حقا، مؤلم أمر التونسيين... فكلّ من يستلم الحكم، وقد برهن على ذلك المتعاقبون عليه إلى اليوم، عوض أن ييسّر الانتقال الديمقراطي تجده يحنّ إلى الماضي المبني على الواحد الأحد و نبذ التعدد!

كان علينا أن نبيّن موقعنا و أن هناك في تونس من يدافع عن التعدد و أن البناء الديمقراطي عملية معقدة و دائمة... تشاورنا سريعا، و اتفقنا: أتقدم لمنافسة المترشح للرئاسة و المتفق عليه مسبقا في إطار محاصصة الترويكا. لم أتقدم باسم الحزب الديمقراطي التقدمي ولكن باسم المعارضة بالمجلس وفي ذلك رسالتان وصلتا بوضوح: «لا مكان في تونس الثورة للترشح الأوحد» و«تونس الثورة هي بنسائها ورجالها». كانت رسالة أمل، كانت رسالة مثابرة، كانت عهدا أن طريق الديمقراطية طويل ومستمر لا يقف حدّ انتخابات أولى و لا ثانية... أزعم أن هذه الحركة الجماعية التي جسّدتُها بترشحي قد أعلنت ميلاد المعارضة في المجلس وفي المجتمع و كانت النطفة الأولى لحراك واجه نزعة الهيمنة الناشئة للترويكا وللنهضة بالتحديد. و ما يزيد هذه اللحظة مغزى بالنسبة إليّ وبالتالي مساري هي تلك الحركة الجميلة التي قام بها الشهيد محمد البراهمي الذي سحب ترشحه لصالحي في رسالة وحدة و تضامن لن أنساها ما حييت. طيب الله ثراك، شهيد الوطن !

ولا أعتقد أنه يمكن أن نختلف في أن مسار كتابة الدستور هو إنجاز يبعث على افتخار، لا السياسيين فحسب، بل عموم التونسيين، ولن أنسى شخصيّا نقاشاتنا التاريخية في لجنة التوطئة التي كنا، أنا وعصام الشابي والشاب فؤاد ثامر، أعضاء فيها عن الكتلة الديمقراطية... كان بحق دستور تشاركيا، و هل أحسن دليل على ذلك من مسيرة 13 أوت 2012 التي خرج فيها عشرات الآلاف من أجل

إدراج المساواة في الدستور؟ و هل أبلغ دليل على ذلك من التحركات والنقاشات والاعتصامات في تونس و في مختلف المدن، بل وفي مختلف الأرياف التي زرتها آنذاك؟ الكل يناقش و يبدي الرأي ويحتج ويقترح، تلك هي تونس التي نحب و التي يجب أن تبقى رغم كل أسباب الإحباط و السلبية التي ما فتئت تتراكم اليوم !

مبعث افتخاري أيضا، أننا في الحزب الذي أمثله لم نختر الحلول السهلة و لم نبحث على حشد الدعم لنا على أساس وعود كاذبة، فمهما كانت النتائج الانتخابية أفتخر أننا حزب لا يَعِد جزافا و لا يقول ما يطلبه الآخرون، وأفتخر أنه في ظرف جد صعب في تونس كنا أول من صدع بضرورة الحوار والتوافق، و هل يتحاور السياسي مع مؤيديه؟ الحوار هو مع الخصم ومع الضفة الأخرى، هذا ما نادينا به من أجل الدستور ومن أجل استقرار البلاد، وهذا ما أنجز رغم طول الطريق ورغم الأخذ و الرد والتشويه أو المغالطة... الأهم أننا توصلنا لذلك والأهم أننا حصّنّا تونس ولو إلى حين ضد منزلقات كانت تهددها، و لا يرضاها أي وطني...■

مكامن الإحباط و الخيبات

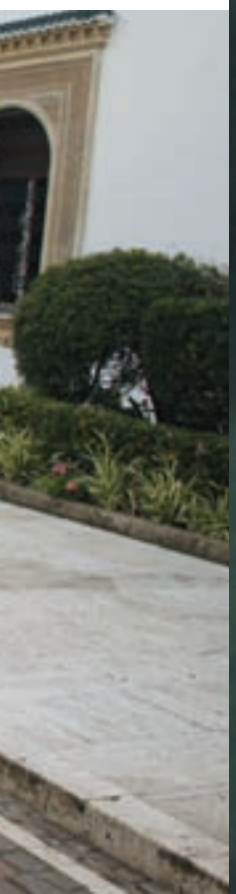

أنا بطبعي إيجابية و لا أتوقف كثيرا عند عناصر الإحباط و الخيبات، لكن معاينتها واجب على السياسي لاستخلاص الدروس و المضي إلى الأمام.

خيبة أمل أن ترى السياسيين يصدحون بضرورة الوحدة و التجميع لفائدة الوطن في حين أن الفائدة الوحيدة التي يسعون إليها هي الفائدة الشخصية، خيبة أمل أن ترى السياسة التي هي في الأساس التنافس من أجل خدمة المجموعة تتحوّل إلى مجال للاستثراء والبروز الشخصي، خيبة أمل أن ترى الانتخابات تتحوّل إلى مناسبة إلى صرف المال المشبوه و شراء الذمم، خيبة أمل أن ترى الوعود الانتخابية و الممارسة، بعد الفوز، على طرفي نقيض، خيبة أمل أن ترى من يصل إلى الحكم يستعمل الأساليب ذاتها التي ندّد بها و قاومها و هو في المعارضة، خيبة أمل أن ترى المنظومة القيمية السائدة اليوم تُستلهم من الممارسات و الأساليب التي قامت الثورة ضدها..!

خيبات الأمل كثيرة، و لكن ليس سياسيا من يقف عندها، و مهمّة السياسي هو بعث الأمل، فالديمقراطية بناء معقد و مسار مستمر و شائك خاصة في فترات الانتقال الديمقراطي، و يبقى الأهم من كل هذا هو الإيمان بأنّ الطاقات الإيجابية يزخر بها وطننا ولا ينقصها إلا التضامن و الالتقاء لمواجهة الرداءة و البناء على ما هو جميل في مجتمعنا العريق ولإرساء قيم المواطنة التي يشترك فيها الكثيرون ممّن لا مصلحة لهم إلا أن يروا تونس متقدمة، منفتحة و عادلة...■

قراءة في الوضع الحالي والآفاق

قبل كل شيء علينا التأكيد بأنّ تونس خطت خطوات هامة في طريق بنائها الديمقراطي: دستور تضمّن قيم الديمقراطية و المواطنة والعدل، صِيغ بأغلبية قاربت الإجماع، و تنظيم انتخابات حرة ونزيهة رغم ما شابها من استعمال المال المشبوه، و سعي متواصل من أجل ضمان الاستقرار في محيط محفوف بكل المخاطر... هذا جيد، و لكنه ليس ضامنا لعدم العودة إلى الوراء أو لعدم السقوط في متاهات العنف و الانفجارات الاجتماعية... فماذا يجني الشاب التونسي من الدستور إن لم يشعر بطيب العيش وبالكرامة في وطنه؟ ماذا يجني المواطن من الدستور الذي يتحدث عن الحقوق والحريات وعن التمييز الإيجابي و عن الحوكمة الرشيدة في حين أنّ الحكومات المتعاقبة عاجزة عن الحدّ من البطالة ومجابهة غلاء المعيشة؟ ماذا تعني الحوكمة الرشيدة في ظل تنامي الرشوة والمحسوبية وكل مظاهر الفساد؟ ماذا تعني الثورة أصلا في ظل عودة متسارعة لأساليب و رموز جاءت الثورة تحديدا للقطع معها؟

مرّ التونسي من خيبة إلى أخرى، وفي كلّ مرة يمنّي النفس بأن القادم سينقذه من الماضي القريب و البعيد، وفي كل مرة يُجابه بالأساليب نفسها وبالإخفاقات ذاتها التي ينذر تراكمها بانفجارات... واجبنا أن نقي تونس منها...لا يجادل أحد في حق رئيس الجمهورية في المبادرة التشريعية، بل لقد سعينا إلى ذلك عند صياغة الدستور، لكني أعتقد أنه ما كان لرئيس الجمهورية أن يخرج للتونسيين بمشروع يقسّم صفوفهم ويدخلهم في جدال هُم في غنى عنه، قانون يُبيّض الفساد وينسف مسار العدالة الانتقالية، لأنّه يضرب عرض الحائط بشروط المساءلة والمحاسبة والشفافية التي تقوم عليها. والحقيقة أنّ هذا المشروع جاء في ظروف عامة تنبئ أن من هم في الحكم لا يعبؤون بضرورة ترسيخ قيم المواطنة والحريات، وإلا ما معنى أن يواجه شباب ينتهج العمل المدني والسلمي بخطابات التهديد والوعيد، بل وبضربات الماتراك، لا لشيء إلا لأنهم عبروا عن رأيهم بكل حرية؟ أية مصالحة هذه التي تأتي عبر ضربات الماتراك؟

كيف يتهيأ للبعض أن يمرّ هذا المشروع مرور الكرام و الناس يعانون من غلاء المعيشة و الأجراء يعرفون أن العدل الجبائي و مقاومة التهرب من الضريبة هي قضايا لم تدرج بعد في أجندة الحكومة و أنهم هم الذين يتكبّدون الجزء الأكبر من تمويل خزينة الدولة؟ .

كيف يمكن لمشروع المصالحة أن يمرّ والعاطلون لا يرون أي أفق لتحقيق تكافؤ الفرص ومجابهة الفساد؟

مصلحة البلاد تقتضي سحب هذا المشروع وفتح حوار جدي حول سبل دعم مسار العدالة الانتقالية وإنجاحها وتوحيد الصف لمواجهة التحديات والأخطار...لنَقُلْها بجرأة و صراحة: خطر الإرهاب الذي تواجهه تونس ليس خَطرا داهما من الخارج أو خطرا وافدا علينا من الأغراب، إنه نتاج وضع دولي وإقليمي، بالتأكيد، ولكنه يتغذى من وضع تونسي سمته انسداد الأفق وانعدام الأمل في غد أفضل، شباب تونس و فقراؤها يجدون أنفسهم اليوم بين مطرقة داعش و«وعودها الروحية والدنوية» وسندان ثورتهم الموؤودة و آمالهم الضائعة...

هذا هو التحدي المطروح على الجميع: إعادة الأمل والتأكيد بأن الثورة على الظلم و الفساد والاستبداد لم تكن خطأ، الخطأ هو في أن من تعاقب على الحكم حاد بالثورة عن أهدافها، فبقيت التنمية ومقاومة الفساد وتحقيق المواطنة كلاما أجوف و خطاب اجتماعات تحشيدية لا غير!

تونس في حاجة إلى هبّة وطنية تضع التنمية ومقاومة الإرهاب في صدارة برامج الجميع مثلما كان الحال إبان بناء الدولة الوطنية الحديثة، حيث الصحة والتعليم و النهوض بالمرأة هي أولويات كل الوزارات والإدارات، هذا ما نحتاجه اليوم و على بعض الوزراء أن يكفوا عن البحث عن نجاحات شخصية لا معنى لها، فهم في هذا الموقع لخدمة تونس والتونسيين. فإمّا أن يكونوا في خدمة مشروع وطن وإمّا أن يبحثوا عن نجاحاتهم في مجال آخر.

مجهود أسلاك الأمن والحرس والجيش، مجهود بطولي، و الإنجازات التي تحققت بالدم الغالي هي مفخرة كل التونسيين، و لكنها لوحدها لا تأتي على مكامن الإرهاب.

المطلوب برنامج شامل يثمّن دور الأبطال بتشريعات تحميهم وتحمي أهاليهم، بخطط تضع مقدرات البلاد في خدمة هذه الحرب عدة وعتادا، وأيضا ببرامج تنمية بشرية تجعل المواطن محور كل مشروع، فتُوجّه التمويلات للمشاريع الكبرى الرامية إلى رفع العزلة عن الجهات المحرومة، و تنطلق برامج مقاومة الفساد، وتُواجه كل محاولات النيل من الحقوق و الحريات بكل صرامة ، ويعاد النظر في برامج التربية والتعليم بما يحفز الناشئة على الانفتاح والفكر النقدي، ويُفسح المجال للفن والإبداع للتأكيد بأن عالم الحرية عالم رحب يجمع و لا يفرق، إنه مشروع وطن و ليس برنامج أشخاص.

آنذاك يمكن للشاب التونسي أن يقارع فكر الموت والتقتيل و التكفير بفكر التسامح والبناء والتطور، آنذاك يمكن لنا القول بأننا أعدنا الثورة إلى طريقها السوي: طريق المواطنة والكرامة والتقدم.■

La BTS: Une Banque de Mésofinance au Service de la Petite Entreprise

مسيـــرة الإصـــرار والتحـــدّي

كانت ميّا الجريبي ترغب في دراسة الطبّ، لكنّها وجدت نفسها في صفاقس لتدرس البيولوجيا، وسرعان ما انتخبت عضوا بالمجلس العلمي للكليّة، فشكّل ذلك انطلاقة نضالات متواصلة في مسارات متعدّدة. كان من المنتظر أن تبقى ميّا بصفاقس سنة واحدة في انتظار التحاقها بإحدى كلّيات الطبّ بفرنسا، لكنّ مغامرة منعشة جعلتها تعدل عن الرحيل. في هذه المدينة اكتشفت الرابطة التونسيّة لحقوق الانسان التي انضمت إلى عضوية فرعها الجهوي وجرّبت النضال من أجل قضايا عادلة كالقضية الفلسطينية. وإلى جانب رفاقها اكتشفت أيضا معنى الالتزام ونكهة النقاشات طوال أربع سنوات كانت زاخرة بالنشاط، ممّا رسّخ لديها قيمة العمل الجماعي والتمشي المشترك.

في صفاقس تعرّفت على عصام الشّابي الذي كان آنذاك طالبا بكليّة العلوم بتونس يخوض نضالا مماثلا لنضالها.

وبعد أن أنهت دراستها بصفاقس عادت إلى العاصمة في الوقت الذي كانت تعيش فيه حالة من الغليان السياسي، حيث كانت النقاشات جارية بشأن تأسيس التجمّع الاشتراكي التقدّمي، الذي سيكون سليله الحزب الديمقراطي التقدمي . انضمّت ميّا الجريبي إلى هذا الحراك السياسي وكان عليها في الآن نفسه البحث عن مورد رزق. سعت إلى أن تعثر على عمل بسيط لتكتشف، من أسفل السلّم، عالم الشغل وظروفه.

ذهبت تبحث عن شغل كعون خدمات في مؤسّسة، فإذا بها تلتقي بمحض الصدفة المرحوم حسيب بن عمّار الذي فتح أمامها أبواب جريدة «الرأي» التي كان يدير هيئة تحريرها. تعلّمت منه الصبر والتسامح والاعتدال واحترام الآخر. كما عاشت في مجال الصحافة تجربة منعشة، لمّا ساهمت في إصدار جريدة «الموقف» الناطقة باسم الحزب الديمقراطي التقدّمي، فلم يكن لها ولزملائها من الموارد الماليّة والتجربة المهنيّة ما يجعلهم قادرين على كسب الرهان، باستثناء رشيد خشانة الذي يتميّز بالخبرة والكفاءة في هذا الميدان. غمرت سعادة فائقة ميّا وزملاءها لمّا انتشروا في شوارع العاصمة يبيعون بصوت عال العدد الأوّل من الصحيفة.

انخرطت في العمل الجمعياتي وأرادت أن تكون متطوّعة على الميدان تحت لواء المنظمّة الأمميّة للطفولة (اليونيسف)، وإذا بها تنتدب للعمل بها كموظّفة. وخلال السنوات الأربع التي قضّتها في المنظّمة، اكتسبت خبرة في مجالي تصوّر المشاريع والبرامج. وإثر ذلك التحقت للعمل بمعهد «لعموري» المتخصّص في الدراسات حول التسويق،الذي صهر شخصيتها وعمّق رؤاها وحـــرّر طاقاتها. وبالتوازي مع العمل، كثّفت ميّا الجريبي نشاطها في إطارالحزب الديمقراطي التقدّمي وجرّبت مختلف أشكال النضال من المعارضة الحازمة إلى إضراب الجوع. وكان التحدّي يتمثّل في تحويل الحزب من حزب ايديولوجي إلى حزب حامل لبرامج. ولمّا اندلعت ثورة 14 جانفي 2011 وجد مناضلو الحزب أنفسهم متهيّئين لهذه النقلة التاريخيّة. ففي صبيحة ذلك اليوم التاريخي، تيقّنت ميّا الجريبي من سقوط الديكتاتورية لمّا نزل الناس في العاصمة وفي شتّى المدن الأخرى إلى الشوارع للمطالبة بالكرامة والحريّة ... وحينها أدركت أنّ الشعب كسّر القيود التي كانت تكبّله.

وكان على ميّا الجريبي الأمينة العامّة للحزب الديمقراطي التقدّمي أن تعدّ إلى جانب رئيس الحزب أحمد نجيب الشّابي المشاركة في انتخابات المجلس التأسيسي في 23 أكتوبر 2011، وإثرها انتخبت عضوا بالمجلس. تحدّت الاتفاق الحاصل في إطار الترويكا بشأن رئاسة المجلس، وترشحت لهذا المنصب، لا باسم حزبها وانّما باسم المعارضة، معتبرة أنّه «لا مكان في تونس الثورة للترشّح الواحد». وتواصل ميّا الجريبي بعزيمة وإصرار النضال السياسي، أمينة عامّة للحزب الجمهوري الذي انبثق عن الحزب الديمقراطي التقدّمي، ديدنها في ذلك الإسهام في تحقيق الأهداف التي قامت من أجلها الثورة.■

ليبيا بعد حكم القذافي

بقلم رشيد خشانة

المرحلة المقبلة ستكون الأعقد والأعسر في ليبيا، لأن الصعب ليس التوصل إلى وفاق بين الفرقاء-الغرماء، على ما فيه من عنت ومُصابرة، وإنما تنزيل الوفاق في الميدان، والسير وسط غابة من الميليشيات المسلحة. فبعد سنتين من الحرب الأهلية أضحت جميع المعايير التي تعرَّف بها الدولة الفاشلة مُنطبقة تماما على الحالة الليبية.

وتتمثل تلك المعايير في عدم السيطرة على المجال الترابي، وفشل السلطة الشرعية في امتلاك القوة اللازمة لفرض قراراتها، وعدم إسداء الخدمات العامة، فضلا عن الفشل في التعامل مع المجتمع الدولي. وهُنا مكمن الاختلاف عن التجربة التونسية، إذ قضى النظام السابق في ليبيا على مُقومات الدولة، وبخاصة بعد قيام «النظام الجماهيري» في 1977.

رسميا لم يتقلد معمر القذافي أي منصب في الدولة، فهو «قائد الثورة»، كما لا يوجد في نظامه «الجماهيري» برلمان ولا رئيس ولا وزارات ولا أحزاب، فنحن أمام غياب تام للدولة، أو ما يُعرف بـ LE NON ETAT. وعمل القذافي وزملاؤه في «مجلس قيادة الثورة» على تكريس النمط البدوي في إدارة الشأن العام، بل وكان يتبجح بذلك حتى في رحلاته إلى الخارج. والبدوي لا يفهم معنى الحدود والقانون الوضعي وقواعد الاجتماع العمراني، وهو لا يثق إلا في بدوي مثله. بهذا العقل أدار القذافي شؤون ليبيا، فشكل نظامُه نمطا مختلفا عن التصنيفات المتداولة في العلوم السياسية وعلم الاجتماع السياسي، لأنه يقوم على رفض الاجتماع الحضري وإعادة إنتاج البداوة، مما يجعلنا بإزاء نظام بدوُقراطي أو BÉDOUINOCRATIE. وبعدما كانت الحركة الوطنية الليبية أساس الدولة الحديثة التي برزت في 1933، قضى النظام الجماهيري على الأحزاب والنقابات، وعلق الطلاب المُشاغبين على أعواد المشانق داخل الجامعة.

هذا ما يُفسر أن ليبيا اليوم بلد مُنفلت، وأن تنظيم «داعش» وجد منفذا ليستقر في درنة منذ أفريل 2014، قبل أن يتمدد إلى سرت بعدها بشهور. وسيكون من الصعب على الجيش الليبي في حال إعادة بنائه أن يُسيطر على هذه الجماعة بعدما ضمنت لنفسها حاضنة اجتماعية، بفضل الانشقاقات في تنظيم «أنصار الشريعة» (المُوالي لـ«القاعدة») والتسويات التي توصل إليها مع القبائل المحلية المُؤيدة للنظام السابق. والأخطر من ذلك أنه يُخطط لربط مواقعه في سرت بمنطقة الجفارة، التي تضم حقل المبروك النفطي، كي يضمن موارد مالية لتمويل عملياته. لكن الإيجابي أن الغريمين المتصارعين «فجر ليبيا» و«الكرامة» يُمكن أن يُوحدا جهودهما لقتال «داعش». فعندما نفذ هذا التنظيم موجة من التفجيرات الانتحارية على مشارف مصراتة (معقل «فجر ليبيا») في ماي الماضي، أرسل قادة المِيليشيات المصراتية مبعوثين إلى الزنتان لوقف القتال بين الجانبين وتوجيه البنادق إلى الخطر المشترك المُتمثل في «داعش».

ولاريب أن حكومة التوافق ستسلك هذا المسلك بإعطاء الأولوية لإعادة بناء المؤسسة العسكرية، تمهيدا لاستئصال الورم الداعشي. غير أن شح الموارد سيكون عقبة حقيقية في هذه الطريق بسبب تراجع احتياط النقد الأجنبي وتناقص إنتاج النفط وانخفاض أسعاره عالميا، فضلا عن ارتفاع عجز الموازنة العامة خلال العام الماضي إلى أكثر من 18 مليار دولار. وترتبت على ذلك العجز إجراءاتٌ تقشفية وتأخيرٌ في دفع الرواتب وإلغاء لعدة مشاريع. وانخفض إنتاج النفط إلى أقل من 400 ألف برميل يوميا، أي رُبع ما كانت تنتجه ليبيا قبل الثورة.

ـومة التـوافـق

> أن تنظيم «داعش» وجد منفذا ليستقر في درنة منذ أفريل 2014، قبل أن يتمدد إلى سرت بعدها بشهور. وسيكون من الصعب على الجيش الليبي في حال إعادة بنائه أن يُسيطر على هذه الجماعة بعدما ضمنت لنفسها حاضنة اجتماعية، بفضل الانشقاقات في تنظيم «أنصار الشريعة» (الموالي لـ«القاعدة») والتسويات التي توصل إليها مع القبائل المحلية المؤيدة للنظام السابق.

وستُجابه حكومة التوافق مشكلة استمرار إغلاق ميناءي السدرة ورأس لانوف (شرقا) أكبر موانئ البلاد منذ ديسمبر الماضي، بسبب القتال بين الفصائل المتنافسة. كما أن الخطر الذي يُمثلهُ «داعش» جعل من غير الوارد إعادة فتح حقول النفط المرتبطة بالميناءين. كذلك مازال حقلا الشرارة والفيل (غربا) مُقفلين بسبب الاحتجاجات، على الرغم من جهود شيوخ القبائل لإعادة فتحهما، وكانا يُنتجان حوالي 400 ألف برميل من النفط يوميا.

بتعبير آخر ستكون حكومة التوافق بلا أظفار ولا إمكانات. وهذا ما سيُعرقل عملها، إذ أن الملف الأمني يفرض نفسه على رأس أولوياتها، إلى جانب ملف إعادة الإعمار. وفي الوقت نفسه سيُطالبُها مئات الآلاف من الموظفين بصرف رواتبهم المتأخرة، (وكثير منهم يتقاضى ثلاثة وأربعة رواتب في وقت واحد)، كما ستُطالبُها الدول الأوروبية بضبط تدفق الهجرة غير النظامية من السواحل الليبية. بهذا المعنى ستكون حكومة التوافق تحت ضغط شديد، مما يجعلها تُركّز على المسائل العاجلة، وهذا يعني أن الأمن لن يستتب في القريب وأن الأزمة في ليبيا مُستمرة طالما لم تخرج البلاد من خانة الدولة الفاشلة، مع ما يترتب على استمرار الفشل من تداعيات أمنية واقتصادية على دول الجوار، وبالأخص على تونس. ■

ر.خ

روسيا × سوريا = معادلة شرق أوسطية جديدة

بقلم محمد ابراهيم الحصايري
سفير تونس سابقا بطهران

ثَمَّةَ، في نظري، سبعةُ مُتَغَيِّرَات إقليمية ودولية هي التي جعلت اتحادية روسيا تحزم أمرها وتتدخّل عسكريّا، بشكل صريح، في سوريا،وهذه المُتَغَيِّرَات هي، دون ترتيب من حيث الأهمية، بدايةُ التّقارب بين إيران وبين الولايات المتحدة والدول الغربية بعد الاتفاق حول البرنامج النووي الإيراني، وانتهاءُ الهدنة التي تواصلت لأكثر من عقد من الزمن بين أكراد تركيا وبين أنقرة، وتورُّطُ المملكة العربية السعودية ودول مجلس التعاون الخليجي (باستثناء عمان) في حرب اليمن، وتفاقم أزمة اللاجئين والمهاجرين الذين يواصلون التدفّق على أوروبا، وقصورُ التحالف الستّيني أو ربّما تقصيرُهُ المُتَعَمَّد في وقف تمدّد «الدولة الإسلامية» في كل من العراق وسوريا وحتى خارجهما، ثمّ تصاعد المحاولات الداخلية والخارجية الرامية إلى إسقاط النظام السوري، وأخيرا تأجّجُ رغبة روسيا في استعادة مكانتها الدولية والإقليمية ووضع حدّ للآحادية القطبية وتفرّد واشنطن بالهيمنة على العالم...

وبالرّغم ممّا يُبْدَى هنا وهناك من اعتراضات على التدخّل العسكري الروسي في سوريا، فإن جملة الأطراف المناوئة له قد تكون، في قرارة نفسها، تشعر بنوع من الارتياح لهذا التدخّل، لأنّه من شأنه أن يخفّف، إن لم يرفع عن كاهلها، ولو جزئيا، بعض أعباء اضطراب الوضع في سوريا، وما يمكن أن يكون لاستمراره من مضاعفات خطيرة، فبعيدا عن مكابرة البعض،ومزايدة البعض الآخر، قد يعود هذا التدخّل بالنفع على دول الجوار (بما في ذلك تركيا) لأنه إذا ما ساعد على إخراج سوريا من دوّامة العنف، وقرّبها من ساعة التسوية السياسية المنشودة، فإنه سيسهم في وضع حدّ لنزوح السوريين، وسيخلّصها من عبء اللاجئين إليها...

وما من شكّ أن الرئيس بوتين وضع في حسابه هذا الشعور عندما قرّر الإلقاء بثقل بلاده في محاولة إنهاء الوضع المأساوي السائد في سوريا منذ أكثر من أربع سنوات ونصف.

ولا بدّ أن نلاحظ في هذا السياق أن موسكو التي دأبت، منذ بدء الأزمة السورية، على مد النظام السوري بدعمها العسكري والسياسي والاقتصادي، وعلى توفير ما يحتاجه من أسلحة ومعلومات استخباراتية وتغطية دبلوماسية وسياسية في

المحافل الدولية، لم تُقْدِمْ على التدخل العسكري المباشر في سوريا إلا بعد أن تفاقمت أزمة اللاجئين والمهاجرين إلى أوروبا، كما أنّ الطيران الروسي لم يشرع في التحرّك إلا بعد أن تحادث الرئيس بوتين مع نظيره الأمريكي أوباما طيلة ما يقارب الثلاث ساعات ونصف... وبعد أن طلب «البنتاغون» من روسيا التنسيق، في ضرباتها الجويةٍ، مع قوات التحالف الدولي، وهو ما يعني ضمناً موافقة الولايات المتحدة على التحرّك الروسي.

أجَلْ... إنّه من الطبيعي أن تعلن الأطراف المناوئة للتدخّل الروسي رفضها لهذا التدخل وأن تشكّك،من خلال حملاتها الإعلامية والسياسية،في أهدافه الحقيقية وفي جدواه، بَيْدَ أنها، على ما يبدو، غير مستعدّة لأن تذهب إلى أبعد من ذلك، فهي تعي جيدا أنّ الوقوف في وجهه سيكون باهظ الكلفة، وأنه من الأفضل بالنسبة إليها أن تجنح إلى التفاهم مع موسكو علّها تستطيع الوصول معها إلى توافقات تمكّن من تحديد حجم تدخلها في سوريا وفي المنطقة، ومن تجنّب إضراره بمصالحها الاستراتيجية في الشرق الأوسط... وهذا ما عبّر عنه مثلا وزير الخارجية الألماني عندما حذّر روسيا من أن تتّخذ مسارات آحادية الجانب في سوريا، حيث «لا ينبغي أن ينشأ وضع يجعل أي تحرك مشترك للمجتمع الدولي غير ممكن»...

وليس معنى ذلك أن هذه الأطراف لا تتمنى أن يكون تدخّل موسكو في سوريا مستنقعاً يستنزف قدرات اتحادية روسيا، مثلما كان تدخّلها في ثمانينات القرن الماضي مستنقعا استنزف قدرات الاتحاد السوفياتي، بل إنها، دون شك،ستعمل بكل ما في وسعها من أجل ذلك،لا سيما بتكثيف دعمها للمعارضة السورية بالعدّة والعتاد... غير أن حظوظ نجاحها في تحقيق هذه الغاية ليست، كما يرى الملاحظون، كبيرة، بسبب عدّة عوامل لعلّ أهمها أن المسرح السوري مختلف بتركيبته وموقعه عن المسرح الأفغاني، وأن المشهد الدولي اليوم مغاير للمشهد الدولي في ثمانينات القرن الماضي، وأن موسكو التي جرّبت تحدي واشنطن والغرب في أوكرانيا مصمّمة على افتكاك موقعها على خريطتي العالم والشرق الأوسط، وعلى كسر احتكار الولايات المتحدة للتحكّم فيهما وفقا لأهوائها ومصالحها الأنانية الضيقة... ثم إن موسكو التي لُدِغَت منذ مطلع القرن الحادي والعشرين من الجُحْر الأمريكي مرتين، مرّةً أولى في العراق، ومرّةً ثانية في ليبيا، لا تريد أن تُلْدَغَ مرّة ثالثة في سوريا حتى لا تفقد هذا الحليف الاستراتيجي القديم الذي تربطها به، منذ عدّة عقود، مصالح كبرى، فسوريا كانت على الدوام حريفا مميّزا لأسلحتها، وهي موطئ قدمها الوحيد والأخير في البحر الأبيض المتوسّط، ونقطة ارتكاز ما تبقّى من نفوذها في الشرق الأوسط وبالتحديد في المشرق العربي المُرَشَّح لأن يشهد تحولات سياسية واقتصادية عميقة؛ سياسيّا بسبب الصراعات الدائرة على ساحات العديد من بلدانه، واقتصاديّا نتيجة الاكتشافات لمنابع غاز ونفط ضخمة في المنطقة البحرية المقابلة للسواحل السورية واللبنانية والفلسطينية والقبرصية والمصرية (قدّر المسح الجيولوجي الأمريكي الذي أجري في شرق المتوسط عام 2010، حجم احتياطي الغاز

بـ3450 مليار متر مكعّب، واحتياطي النفط بـ1,7 مليار برميل في المياه الإقليمية السورية).

وليس هذا فحسب، فالرئيس بوتين الذي أكد في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة أنه «لا أحد يقاتل الدولة الإسلامية في سوريا بشكل حقيقي باستثناء حكومة الرئيس الأسد وقوات حماية الشعب الكردية»، لا يخفي مخاوف بلاده مما يمكن أن يكون لانتشار الحركات الدينية المتطرّفة في الشرق الأوسط وفي سوريا بالذات من انعكاسات خطيرة على مسلميها في القوقاز وآسيا الوسطى، خاصة في حالة عودة «مقاتلين» شيشان إليها بعد التمرّس بفنون القتال في الساحتين السورية والعراقية.

لكلّ هذه العوامل،وبالنظر إلى تواتر الحديث في الآونة الأخيرة عن إمكانية إقامة مناطق آمنة في سوريا، وربما دخول قوات عربية أو إقليمية إليها، عملت موسكو، منذ عدّة أشهر،كما أكّد ذلك وزير الخارجية السوري، على إعداد العدّة، بالتنسيق مع دمشق ومع بغداد، للتدخل في سوريا مع تأمين أكبر قدر من أسباب النجاح لهذا التدخّل.

وفي هذا الإطار بالذّات يندرج إنشاء مركز التنسيق الاستخباراتي الذي يضمّ كلاّ من العراق وروسيا وسوريا وإيران في بغداد، كأداة مُسَاعِدَة على إنجاح التدخّل في سوريا، وربّما كتمهيد لتعاون روسي عراقي مستقبلي أوسع من أجل تدمير «الدولة الاسلامية في العراق وبلاد الشام» التي تؤكد موسكو،عن حقّ،استحالة القضاء عليها إن لم تتمّ محاربتها في سوريا وفي العراق معا... ومن هنا لا يستبعد بعض الملاحظين أن تمتدّ المظلة العسكرية الروسية إلى العراق بشكل أو بآخر خاصة وأن موسكو أعلنت أنها على استعداد تامّ لتوجيه ضربات جوية لـ«الدولة الإسلامية في العراق» إذا طلبت الحكومة العراقية منها ذلك، بينما أعرب رئيس الوزراء العراقي عن ترحابه بأي جهد عسكري روسي ضد هذه «الدولة» داخل بلاده...

إضافة إلى ذلك، ووعيا منها بأن نجاح تدخّلها في سوريا سيكون مرهونا بحسم حملتها على «الدولة الإسلامية» والتنظيمات المتطرفة بأسرع وقت ممكن، أعلنت موسكو أنها تقدّر أن تستغرق هذه الحملة أربعة أشهر فقط، علما بأن واشنطن ما فتئت تردّد أنها ستحتاج إلى عشر سنوات كاملة، إن لم يكن أكثر، للقضاء على «الدولة الاسلامية في العراق وبلاد الشام»...

وفي انتظار ما ستحفل به الفترة القادمة من تطوّرات ميدانية وسياسية، يمكن القول منذ الآن إن التدخل الروسي في سوريا أحدث تحوّلا في موازين القوى وأنشأ واقعا إقليميا ودوليا جديدا، لن يلبث أن يفضي إلى خلق معادلة شرق أوسطية جديدة من أهم خصائصها أنها ستُنْهي حالة التفرّد الأمريكي بمنطقتي المشرق والمغرب العربيين،وستعطي لموسكو دورا فاعلا ووازنا في أية تسويات قادمة لأزماتهما في إطار المحافظة على مصالحها الاستراتيجية بعيدة المدى فيهما أولا، وفي غيرهما من مناطق النزاع بينها وبين الغرب ثانيا. وتأسيسا على كل ما تقدّم، فإنّ المهمّ الآن،لم يعد أن نرفض التدخل الروسي في سوريا أو أن نقبله، وإنّما هو أن نحسن قراءة الواقع الجديد الناشئ عنه، وأن نتابع أطواره عن كثب،وأن نستشرف ما يمكن أن يكون له من تداعيات على مستقبل بلادنا والمنطقة.

وفي هذا الإطار، أعتقد أنه سيكون من المفيد أن نستبق الأحداث، وأن نسرّع نسق عملية «تطبيع» العلاقات التونسية السورية التي بدأ ترميمها بصورة متردّدة ومحتشمة، فمثل هذا التمشّي الاستباقي سيساعد بلادنا على تسوية ملفّ المساجين التونسيين في سوريا، وملف «المقاتلين» الذين التحقوا بالدولة الاسلامية والتنظيمات المتطرّفة الأخرى والذين قد يعودون إلى تونس مستقبلا.

وفي هذا الصدد، ينبغي أن ننتبه إلى الأنباء التي تؤكد أن أتباع هذه التنظيمات أصيبوا منذ الضربات الجوية الروسية الأولى بحالة من الذعر وأن بعضهم سارعوا إلى الفرار من مناطق سيطرتهم، إما إلى الاراضي العراقية بالنسبة إلى مقاتلي «الدولة الإسلامية» أو إلى تركيا بالنسبة الى مقاتلي المجموعات التي تحظى بالدعم التركي العربي الغربي، (أي«جبهة النصرة» و«جيش الفتح» و«أحرار الشام»).

وإزاء احتمال محاولة بعض«المقاتلين»التونسيين العودة إلى تونس، أو الانتقال إلى ليبيا، ينبغي لبلادنا أن تسارع باتّخاذ الاجراءات اللازمة لتكثيف تعاونها الاستخباراتي مع السلطات السورية أولا، ومع الأطراف الليبية ثانيا، وحتى مع الروس ثالثا... وهنا ينبغي التّذكير بأن الرئيس بوتين أكّد في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتّحدة «أن ليبيا تحتاج الى الدّعم لحلّ أزمتها السياسية»، وأن «فراغ السّلطة الذي تكوّن في شمال إفريقيا ملأه المسلّحون المتطرفون»، وأنّه «لا يمكن تسوية مشكلة اللاجئين إلاّ عبـر إعـادة مؤسسات الدولة في الأماكن التي تم تدميرها فيها». على صعيد آخر، يعتبر تغيّر مواقف بعض الأطراف التونسية من النظام السوري، ودعوتها إلى المصالحة العربية العربيّة أمرا إيجابيا غير أنه يظل غير كاف، إذا لم يُشْفَعْ بتحرّكات عمليّة ملموسة من قبل الدولة التونسية.

وفي رأيي فإنّ هذه التحرّكات يمكن أن تكتسي شكلين اثنين:
الشّكل الأول ثنائي تونسي سوري وهو يتعلق بتطبيع العلاقات بين البلدين، كتمهيد ضروري لتسوية ملفي السجناء و«المقاتلين»التونسيين في سوريا، بالتنسيق مع الجانب السوري.

والشكل الثاني متعدّد الأطراف، ويمكن أن يتمّ في إطار جامعة الدول العربية التي نعتقد ان الوقت حان لكي تراجع قراراتها السابقة بخصوص سوريا، وهو ما يُمْكِنُ أن يَدْفَعَ إليه تحرّكٌ جماعيّ تُسْهِمُ فيه تونس تداركا لخطإ احتضانها «مؤتمر أصدقاء سوريا».

وفي هذا السياق فإننا نؤمل أن تتم ترجمة اتفاق رئيس الدولة مع نظيره المصري خلال زيارته الأخيرة الى مصر على أهمية التوصل إلى حلول سياسية للأزمات التي تمر بها دول المنطقة الى تحركات فعلية في هذا الإتجاه. إلى ذلك، ودون الدخول في مناقشة عقيمة لمغانم ومغارم تعزيز التعاون مع الحلف الأطلسي، والانخراط في «التحالف الدولي ضد الدولة الاسلامية والتطرف العنيف»،فان بلادنا مدعوة إلى توخّي نهج براغماتي في التعامل مع جميع الاطراف الدولية المعنية بمكافحة الإرهاب، ومعنى ذلك أنها تحتاج إلى أن تطوّر تعاونها مع روسيا التي أعتقد أنها تملك نفس القدر إن لم يكن قدرا أوفر من المعلومات الاستخبارية عما يجري على الساحة السورية وغيرها من الساحات، والتي لا أستبعد، في حالة نجاح تدخّلها في سوريا،أن نراها تعود إلى منطقتنا بكل قوّة..■

م.ا.ح

اتفاقية الأمم المتحدة حول التغييرات المناخية

تقدم المفاوضات حول الاتفاق الدولي الجديد

بقلم يوسف قديّة

تهدف المفاوضات الدولية الجارية في نطاق اتفاقية الأمم المتحدة حول التغييرات المناخية إلى الابقاء على الأمل في التوصل إلى الحد من ارتفاع معدلات الحرارة العالمية إلى أقل من 2 درجة حرارية مع نهاية القرن الحالي، وبالتالي الحد بنسبة معقولة في التداعيات الاقتصادية والبيئية لتغير المناخ وذلك من خلال اعتماد اتفاق دولي جديد تابع لـ «اتفاق 2015» يتم اقراره خلال مؤتمر الأطراف المقرر أن ينعقد بباريس من 30 نوفمبر إلى 11 ديسمبر 2015 ويدخل حيز التنفيذ بدءا من سنة 2020، ويتضمن أحكاما تطبق على جميع الدول الأطراف تنص على جملة من التعهدات أو الالتزامات من المفروض أن تساعد على الحد من انبعاثات غازات الدفيئة.

وقد ساعدت الدورة السابقة لمؤتمر الأطراف المنعقدة في ليما، بالبيرو، في ديسمبر 2014 على حصول توافق حول عناصر مسودة نص تفاوضي يدعم الجهود الرامية إلى التوصل إلى اعتماد هذا الاتفاق خلال دورة باريس.

وتتمثل أهم رهانات الدورة 21 لمؤتمر الأطراف الفاعلة في اتفاقية الأمم المتحدة حول التغيرات المناخية في تحديد التزامات كمية واضحة من الدول المتقدمة للأهداف في مجال التخفيض من انبعاثات غازات الدفيئة إلى موفى سنة 2020 بالإضافة إلى تأكيد الالتزامات المحمولة على الدول المتقدمة وعلى الدول النامية بموجب اتفاقية الأمم المتحدة حول التغيرات المناخية (1992) التي تتضمن عرضا مفصلا لمواقف الدول المتقدمة والدول النامية من جملة من المسائل الهامة كمسالة التفرقة في المسؤوليات بين هذه وتلك، ومسألة التخفيف من انبعاثات غازات الدفيئة، ومسألة توفير التمويل ونقل التكنولوجيا وتنمية القدرات لفائدة الدول النامية.

عناصر الموقف التونسي

يحرص الطرف التونسي على مواصلة التنسيق والتشاور مع المجموعات التفاوضية التي تنتمي اليها تونس (مجموعة الدول الافريقية ومجموعة الدول العربية ومجموعة 77 زائد الصين) للضغط من أجل أن يتضمن الاتفاق الجديد التزام الدول المتقدمة الأطراف بدور الريادة في مجال التخفيف من تغير المناخ والتأكيد على أن مدى تنفيذ الدول النامية الأطراف بفعالية لالتزاماتها بموجب الاتفاقية يتوقف على فعالية تنفيذ الدول المتقدمة الأطراف لالتزاماتها في ما يتعلق بتوفير الموارد المالية، ونقل التكنولوجيا، وبناء القدرات لدعم برامج التخفيف والتأقلم مع تأثيرات تغير المناخ، ويأخذ بعين الاعتبار ما للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والقضاء على الفقر من أهمية قصوى في الدول النامية الاطراف. ويرى الطرف التونسي أن الاتفاق الجديد لا يجب أن يتضمن مراجعة جوهرية لملاحق يتم بموجبها ادراج دول نامية ذات اقتصاديات صغرى ومتوسطة على غرار تونس ضمن قائمة الدول المعنية بالتزامات في نفس مستوى الالتزامات التي يمكن أن تتعهد بها دول نامية ذات اقتصاديات كبرى. ولا يرى الطرف التونسي موجبا للتنصيص ضمن الاتفاق الجديد على التزامات في شكل أهداف كمية مطلقة تفرض على الدول النامية ذات الاقتصاديات الصغرى والمتوسطة على غرار تونس لحملها على خفض انبعاثات غازات الدفيئة بالنسبة إلى سنة مرجعية ومعينة. لكنه يدعو في المقابل إلى التنصيص بوضوح ضمن الاتفاق الجديد على أن تنفيذ الدول النامية الأطراف لالتزاماتها (أو مساهماتها أو اجراءاتها) في مجال تخفيف غازات الدفيئة يتوقف على توفير وسائل التنفيذ والتمويلات ونقل التكنولوجيا وتطويرها وبناء القدرات من الدول المتقدمة.

وتقر تونس وجوب رفع مستوى الطموحات ومشاركة جميع الأطراف في المجهود الدولي الرامي إلى التقليص من الانبعاثات بما يساعد على تحقيق الهدف المتمثل في الحد من ارتفاع معدل درجات الحرارة على سطح الأرض إلى أقل من 2 درجة مائوية مع نهاية القرن الحالي. تجاوبا مع الدعوات الصادرة عن المؤتمرات السابقة للأطراف والمتعلقة بالشروع في الاستعدادات على المستوى الوطني لتحديد «المساهمات المقررة والمحددة وطنيا»، تم الشروع في التحضيرات الوطنية لإعداد التقرير المتعلق بهذه المساهمات منذ سنة 2014 بدعم من الوكالة الألمانية للتعاون الدولي وبمشاركة كل الأطراف المعنية واعتمادا على نتائج العديد من الدراسات والمبادرات المنجزة منذ سنة 2011 وخصوصا الاستراتيجية الوطنية حول التغيرات المناخية والجرد الوطني لانبعاثات غازات الدفيئة والدراسات المتعلقة بإعداد «اجراءات وطنية مناسبة» لتخفيض الانبعاثات خاصة بالمخطط الشمسي التونسي وبقطاعات ومجالات الكهرباء والفلاحة والغابات والمباني والتطهير.

وتم استكمال هذه الأنشطة التحضيرية بدعم من برنامج الأمم المتحدة للتنمية وأطراف تونسية لتحديد مستوى «المساهمات المقررة والمحددة وطنيا».

وتوجت هذه الجهود في شهر جويلية 2015 بإعداد مشروع هذه المساهمة التونسية وإفادتها إلى أمانة الاتفاقية خلال شهر سبتمبر 2015. وهي تتضمن مساهمة في مجال تقليص انبعاثات غازات الدفيئة في شكل تخفيض من كثافة الكربون بنسبة 41 بالمائة في أفق سنة 2030 مقارنة بمستوى سنة 2010. وتشمل التخفيضات عدة مجالات كالطاقة والأساليب الصناعية والغابات وتغيير صبغة الأراضي والنفايات. وتتوزع أهداف تقليص انبعاثات غازات الدفيئة على مساهمة غير مشروطة (يمكن تحقيقها باعتماد الامكانيات الوطنية) وتتعلق خاصة بتخفيض كثافة الكربون بنسبة 13 بالمائة في سنة 2030 مقارنة بمستوى سنة 2010 وعلى مساهمة مشروطة بتوفير التمويلات ونقل وتطوير التكنولوجيا وتنمية القدرات في مجالي التخفيف والتأقلم مع التغيرات المناخية وتتمثل في تخفيض كثافة الكربون بنسبة اضافية تقدر ب 28 بالمائة في سنة 2030 مقارنة بكثافة الكربون في سنة 2010. وتترجم كل هذه الأهداف استعداد تونس لمزيد تعزيز المجهود الوطني في مجال استعمال الطاقات النظيفة اذا توفر الدعم الدولي الضروري. كما تتضمن وثيقة المساهمات الوطنيـة التأكيـد على الحاجيات الوطنية من حيث التأقلم مـع التغيرات المناخية، خاصة في مجـال الموارد المائية والمحافظة على الشريط الساحلي والفلاحة والمنظومـات الطبيعية والسياحة والصحـة إلى جانب التـركيز على الحاجيات الوطنية والدعــم المالي الخارجي.■

ي.ق.

يوميات مواطن عيّاش

خُوذْ قْرُوضْ... وزِيدْ حَلِّي بالمَقْرُوضْ

بقلم عادل الأحمر

حشى صاحبي العياش، وحكاياتو ما توفاش: التقت علي الأعياد والأعراس ودخول المدارس فخرجت من المعمعة تر فالس، ووجدت نفسي تائها في الروج، مثل الدابة الوحيدة وسط المروج، لست أدري كيف أبدأ الشهر الجديد، إزاء تيار الديون العتيد، ولا أعلم كيف سيكون آخر الشهر، وماذا سأقاسي في الأثناء من الأرق والسهر. وإزاء هذا الوضع المتأزم، مشيت لبانكتي متحزم، مطالبا بقرض سريع، يعيد إلي الربيع، بعد قر الشتاء، وعصف الأنواء. لكن مدير الفرع رفض، ولما سمع طلبي انتفض: «اشنوه ؟ قرض آخر يا سيد، وأنت بقرضين سابقين مقيد؟»، فعدت أجر أذيال الفشل، وكأن من صب علي سطـــل. قلت: «أحاول مع بنك المدامة، لعلو يفكني من ها المرمة، لكن زوجتي نصحتني بأن ألزم مكاني، وأكف عن هذياني، فحسابها في آخر النزعات، وسوف تنزل فيه بعد مدة كمبيالات.

فما بقي لي إلا صديق أشكو له فقري، وتدهور أمري، عالما بأن له بعض المعارف، بين إطارات المصارف، فطرقت بابه اتوسل، لعله لديهم يتدخل ، من أجل قرض معتبر، يخرجني من ورطة العمر. وبعد ما شرحت لصاحبي سوء أحوالي، بادر على التو بالسؤال : « ما قولك لو تحل المشكلة من الأساس، وتطلب قرضا لمشروع مثل أي بزناس؟»، فقلت : «على يديك نحج، وما تستنى حتى درج». قال لي صاحبي : «وأي القروض تريد ؟ طويل الأمد ، يستمر استخلاصه إلى الأبد ؟ أم من النوع القصير، تحطو على الكف يطير؟»، فقلت له : «دبر لي أي قرض يا بشر، لا يهمني طول أو قصر ؟».

ثم سألني صاحبي : « وفي أي المجالات سيكون مشروعك؟ أم أنك لا تعرف كوعك من بوعك ؟»، قلت : «يا صاحبي، لا يهم المجال، إذا توفر لي المال، فأنا إلى حيث مالت رياح الأعمال ميال». فقال : « مارأيك إذن في ضيعة فلاحية، تربتها زكية، أشجارها مثقلة الغصون، باللوز والزيتون، فيها العنب والرمان، و«الزهر على كل ألوان»، كما في مالوفنا الفتان، ماؤها هرهار، وسواقيها كالأنهار، هواؤها نقي، في الصبح والعشي، شياهها رومانية، وأبقارها هولندية ؟»

«أذاك أحب إليك أم تجارة عالمية، وشبكة توزيع دولية، توريد وتصدير، وأنت في مكتبك أمير، تطلب بضاعة من الصين، فتأتيك في الحين، تكلم اليابان ، فيسرعون إليك بالأحضان، وتصدر من تونس زيت الزيتون، فيتخاطفه في العالم الموردون، وشكون كيفك، شكون ؟ ... وأنت تعلم أن لا مثيل للتجارة، داخل في الربح خارج م الخسارة، وما أنت إلا مجرد وسيط يشري ويبيع، وتماشي ، يا صديقي، أحلى من ها المشاريع ؟».

«وإن انت لم ترد هذا ولا ذاك، فما قولك في مشروع سياحي، على الشريط الساحلي، نزل ذو خمسة نجوم، لا تحوم حوله الهموم، هندسته غربية، وزخرفته شرقية، على الطريقة التونسية، شوية من غادي وشوية من هونية، غرفه واسعة، وحدائقه شاسعة، مسابحه كثيرة، وصالوناتة وثيرة، مطاعمه من صنف «خمس شوكات»، وملاهيه أغرب من الخرافات، يسكنه الرؤساء، ويقصده الأمراء، وانت تحكم باحكامك، ما ياقف حد قدامك ؟». فقلت لصاحبي: «أنا صاحب أي واحد من الثلاثة يا أعز أحبابي، متى حول القرض إلى حسابي»، فضحك صاحبي وقال : «وأنا شريكك في هذه الأعمال، لو لم تكن من صنع الخيال، فكيف لك أن تحصل على قرض لمثل هذه المشاريع، وأنت لا تملك في البنك مليما ولا عندك ما ترهن ولا عندك ما تبيع ؟». فقلت : «لاحياك الله يا صاحبي. أحييت آمالا كان اليأس أماتها، وظننت الزمن قد فاتها، ففتحت لي في الجنة أميالا، ما كانت إلا خيالا، فتبا لك من رجل كريه، تبيع الحلم وتضحك على شاريه». ثم انصرفت في سبيل حالي، باكيا على أحوال الزوالي. ■

ع.ل

تأمينات كتاما

بالتعاون مع الرشيدية

تنظم الدورة الثالثة لمسابقة الإبداع الفني

CTAM Art

الملوف

الجوائز:

تتوّج أحسن الأعمال المقدّمة

بجوائز مالية قائمة على الترتيب التفاضلي التالي:

- جائزة المجموعات الموسيقية: الجائزة الأولى عشرة آلاف دينار (10000 د)
  الجائزة الثانية ستة آلاف دينار (6000 د)
- جائزة العزف المنفرد في الأسلوب التونسي: ألفا دينار (2000 د)
- جائزة الارتجال الغنائي في الأسلوب التونسي: ألفا دينار (2000 د)

www.ctamamga.com

آخر الإصدارات

ألفة السلامي في «ثورة جسد»

قصة صراع ضد السرطان وأمل انتصار الثورات العربية

ماذا يحدث في النفس عندما تنفجر الثورات العربية تباعا فيما يهجم على الجسم داء السرطان، في آن واحد؟ تتلاحق المشاعر والأحاسيس وتتمازج الصور والأصوات، من شارع بورقيبة في تونس، الوطن الأم، وميدان التحرير في القاهرة، البلد الحاضن، ومن بنغازي وطرابلس، ويأتي رجع الصدى من أجنّة صفاقس، مسقط الرأس، ومن الأحبّة من كلّ أرجاء المعمورة.

«ثورة جسد» كتاب ألفة السلامي، الإعلامية التونسية، المقيمة لأكثر من ربع قرن بمصر، يختزل معا صراع الجسم والروح ضد المرض وانتشاء الأمل بانبلاج فجر الحرية والديمقراطية في الوطن العربي. من تجربتها التلفزيونية تعلّمت ألفة أن تكتب بالصورة، فيأتي النص وكأنه سيناريو ترافقه الكاميرا لتركز على مشاهد معينة ومن زوايا غير معهودة، ترسل الخيال حتى يتصوّر الذهن ما لا تكتفي به العين، فهي تنتقي المفردات بدقة، وتجيد صياغتها بسلاسة وتجعل الجمل والتراكيب تنساب في وصلات تشدّك إليها بكل أحاسيسك.

«ثورة وجسد»
ألفة السلامي
هلا للنشر والتوزيع
القاهرة، 467 صفحة

جيل الطليعة

يدخل القارئ عالم ألفة السلامي وهي تكتشف إصابتها بالمرض الخبيث «اللي ما بيهزرش» كما يقول اخواننا المصريون، وتتأهب للجراحة ولجرعات العلاج الكيمياوي، وتصاحبها في خضم الأمواج البشرية المتلاحمة في ميدان الثورة، وينصهر كل ذلك في رصيد وقائع من قصة حياة، ترويها بعفوية خالصة لتصف بدقة ما تعانيه وما يختلج في نفسها من مشاعر. تعود بنا ألفة إلى سنوات شبابها الحركيّ مع اخوانها التقدميين في نادي السينما بصفاقس الذي أنجب جيلا طلائعيا برز من بينه النوري بوزيد ومحمد دمق والمنصف ذويب وغيرهم من الذين تصدروا الحركة الطلابية وقاسوا ويلات السجون والاضطهاد، وتلمّح إلى حماس رفقائها في دار المعلمين العليا بسوسة وتكشف عن قصة حبّها مع المحامي المصري التقدّمي الأستاذ طارق نجيدة الذي لم يكتف بسبي قلبها وإنما عرف أيضا كيف يستهويها لحب مصر.

دوما على خط النار

لمعت ألفة السلامي على شاشة التلفزيون في القنوات التلفزية المصرية ثم انطلقت مع شبكة APTN العالمية موفدة خاصة إلى كل بؤر التوتر في الوطن العربي وأدغال إفريقيا وجابت اليمن والخليج والجولان ودارفور، ولم تنعقد قمة عربية، ولم تندلع حرب دون أن تهرع إليها لتنقلها إلى ملايين المشاهدين، وقد أهّلتها جرأتها وخبرتها لتتصدّر المراتب الأولى وتصبح مديرة تحرير. تألقت بالخصوص في إسناد البرنامج التلفزيوني الشهير «تكلّم» الذي

ألفة السلاّمي

سمر

كانت تقدّمه لميس الحديدي على الفضائية المصرية، واستجابت ألفة السلامي لهواية الصحافة المكتوبة فكانت لها تجربة قيّمة في العديد من الصحف ومن بينها «الأهرام»، وهي اليوم مديرة التحرير العامة لصحيفة «العالم اليوم» المصرية ولا تهدأ لها حركة في مجال الإعلام.

وعلى الرغم من تعدد رحلاتها المكوكية إلى جبهات التوتر، فقد تمكنت ألفة السلامي من رعاية ابنيها سمر ومحمد، والسهر على تربيتهما وتألقهما الدراسي. سمر، تخرجت من الجامعة الامريكية بالقاهرة في مجال الاعلام قبل أن تواصل دراستها بالولايات المتحدة الأمـريكية لتعـود، إلى القاهـرة، صحفيّة تلفزيونية هي اليوم في أوج تألقـها على قنـاة التحرير، «TEN» وأستاذة اتصال بالجامعة الأمريكية، أما محمد فهو يتأهّب للدخـول إلى الجامعة فيما يواصل رفيق درب ألفـة الأستـاذ طارق المحامي نضالاته السياسيّة لإنجاح الثورة المصرية. بين الخاصّ والعام، بين حياتها الأسرية وعملها الصحفي وبين انتصارها للثورات العربية و مصارعتها للمرض يتشكّل كتاب «ثورة وجسد» رواية أدبية وسيرة ذاتية بنضج مشاعر وأحاسيس، تصوغها ألفة السلامي بكل فنّ وإبداع.■

الحركة الوطنية التونسية والمسألة العمّالية النّقابية (1894 - 1956)

محمد لطفي الشابي

ثلاثية جادّة ومتمعّنة في تاريخ تونس المعاصر

صدر عن مركز النشر الجامعي (تونس، 2015) في طبعة ثانية مَزيدة و مُنقّحة الجزآن الأوّل (1894 - 1925) و الثاني (1925 – 1943) من ثلاثية الأستاذ المؤرّخ (الجامعة التونسية) محمد لطفي الشابي حول أسس العلاقة بين الحركة الوطنية التونسية و المسألة العمالية النقابية (1894 – 1956) و التي اختتمها بإنجاز حلقتها الأخيرة (1944 – 1956) الصّادرة على نفقة المؤلف في جزأين.

وهي ثمرة بذل وعناء في التحقيق و التوثيق و التّدقيق لصفحة من تاريخ تونس المعاصر، «تونس الضّعيفة و الفقيرة حسّا و معْنى» ، «تونس المَحْمية الفرنسية» ، «تونس تحت نيْر الاسْتعمار»، استوْجبت ولادتها عقْدين من المراجعة و التنقيب في دور الأرشيف التونسية و الفرنسية والجزائرية و الليبية ووظّفت مصادر متنوّعة حديثة (أرشيفية و صحفية و مطبوعة و مذكّرات الفاعلين السياسيين و شهاداتهم المسجّلة و المنشورة) مكّنت المؤلّف من رصد خلْفيات الأحداث و استحضار ما ظهر منها و ما بطن و مساءلة الإطار التاريخي الذي حفّ بها، مُدقّقا مفاهيم الاستعمار والقومية و القومية المِلّية (الدينية) و الوطنية والجامعة الإسلامية وعارضا على مدى 1815 صفحة استنتاجاته في خصوص تعريف الاستعْمار الفرنسي الذي جثم على بلدان المغرب العربي- والتي قدّمتها الأدبيات الاستعمارية مجالا من دون سكّان- بكونه استعمارا ماصونيا علاوة على السياسة التي انتهجها إزاء الأهالي و المتمثّلة في المراوحة بين الإخضاع (SUJÉTION) والإدماج (ASSIMILATION) والمشاركة (ASSOCIATION) والسيادة المزدوجة (CO-SOUVERAINETÉ).

فقد كانت الجمهورية الثالثة (1870 – 1940) والرابعة (1947 – 1958) ذاتَيْ السند الماصوني تروّجان لمقولة الرسالة الحضارية /التمدينية الفرنسية و التي سبق لنابليون بونابرت أن شرع في إنجازها أثناء حملته بمصر (1799 – 1805) و تسعيان عن طريق المحافل الماصونية التي انتشرت في جل المدن المغاربية إثر بداية عملية احتلال الجزائر سنة 1830 في بث مبادئها الستّ و التي كان لها ارتباط وثيق بالحراكين السياسي و الاجتماعي وهي: فصل الدين عن الدولة (مبدأ اللائكية لدى الماصونية الفرنسية و مبدأ العلمانية لدى الماصونيةالانقلوسكسونية)؛ علوية النظام الجمهوري؛ الفكر الحرّ؛ تحرير المرأة؛ نبذ الروح القومية (NATIONALISME) ذات الدفع الديني وتعويضها بالوطنية(PATRIOTISME)؛ إيجابية الاستعمار والعمل على دمْومته.

و لم يتيسّر للمؤلف تبيان أسس العلاقة بين الحركة الوطنية التونسية و المسألة العمالية النقابية - التي تطوّرت من النقابية الفوضوية (ANARCHO-SYNDICALISME) إلى النقابية الاشتركية / الماصونية ثم النقابية القومية فالشيوعية و المسيحية - طوال الفترة المدروسة إلا بعد فكّ لغز الحضور الماصوني الفرنسي الذي طال الإيالة منذ

بداية القرن التاسع عشر و تدعّم في العقد الأوّل من القرن العشرين و أصبح إحدى القوى المؤثرة في الحياة السياسية والنقابية.

وتبيّن للمؤلف أن الحضور الماصوني في الحركتين السياسية و النقابية كان له تأثير لا فقط على النخبة التونسية بصفة عامة بل أيضا على الحركة الوطنية بصفة خاصة. و عمل على توضيح هذه العلاقة و تحليل مكوّناتها من خلال المبادئ الماصونية المُروّجة عن طريق الصحافة والإدارة و التعليم من جهة و في المسلكين النقابي والجمعيـــاتي من جهة أخرى.

كما بيّن في المقدمـــة أنه ارتآى رسم كلمة « ماصونية» بتفضيل حرف « الصاد» عن «السين « اعتمـــادا على كيفية نطقها في اللغـــة العربية إذ لم ترد في لغتهـــا الأجنبية أي الفرنسية أو الانقليزية بتخفيض النطق الشبيه لحرف « السين» العربي ولكن بالترفيـــع القريب مـــن حـــرف « الصـــاد». لذا يكـــون نطق كلمة MAÇONNERIE بالفرنسية أو MASONRY بالانقليزية أقرب لـ «الماصونية» منه « الماسونية».

ويعسرعلى المتمعّن في هذه الثلاثية / الرباعية - بحكم صدور الجزء الثالث منها في مجلّدين- و المصادر التي اعتمدتها، أن لا يغمره شعور بوجوب مراجعة وتعديل تاريخ الحركة الوطنية التونسية وتعديله كما هو يُدْرس ويُدَرّس حاليا للنشء المدرسي والطالبي و يعرّف به لعموم الشعب التونسي.■

إنصافا لمحمّد عطيّة...

بقلم عبد الحفيظ الهرقام

كان على عائلة محمّد عطيّة وتلاميذه ومريديه، إضافة إلى الذين عرفوه، مربّيا ومديرا لأعرق مؤسّسة تربويّة عصريّة في البلاد، أن ينتظروا قرابة نصف قرن لتسلّط الأضواء على مسيرته الرائدة وليردّ إليه الاعتبار بعد أن أجمع الكثيرون على أنّه تعرّض لمظلمة، قلّما تعرّض لها علم من أعلام تونس، ممّن تركوا بصمات جليّة في مجالات عملهم وكان لهم دور بارز في بناء مستقبل البلاد ونهضتها.

جاءت المبادرة من مؤسّسة التميمي للبحث والمعلومات التي خصّصت لمدير المعهد الصادقي من سنة (1944 إلى سنة 1955) «سيمنار» ضُمّنت وقائعه في كتاب صدر عنها مؤخّرا،وذلك تجسيما لما تبديه من حرص على شحذ الذاكرة الوطنيّة ونفض الغبار عن عديد القضايا والملفّات التي ظلّت لفترات طويلة مسكوتا عنها حتّى كاد أن يلفّها النسيان. وقد تضمّن برنامج اللقاء مداخلات وشهادات قدّمها بالخصوص السيد فؤاد المبزّع، رئيس الجمهورية الأسبق ورئيس جمعيّة قدماء المعهد الصادقي وعدد من الباحثين، ومن قدماء تلاميذ هذه المؤسّسة، إلى جانب نجلة محمّد عطيّة.

أوّل تونسي ومغاربي يحصل على التبريز في اللغة والآداب العربيّة

يقول الدكتور عبد الجليل التميمي في تقديم الشخصيّة، موضوع «السيمنار»:

«ولد المربّي محمّد عطيّة في 3 نوفمبر 1903 بسوسة، والتحق بالمدرسة الابتدائيّة الفرنكو-عربيّة بباب القبلي، ثمّ التحق بالمدرسة الصادقيّة عن طريق مناظرة. وبعد حصوله على شهادة الباكالوريا بجزأيها، قرّر الالتحاق بباريس حيث أقام فيها بين 1921 و1931. وتمتّع بمنحة دراسيّة من جمعيّة كان يطلق عليها اسم حبس «القلّة». وقد أنهى تعليمه هناك بالحصول على شهادة التبريز في اللغة والآداب العربيّة، وكان بذلك أوّل تونسي ومغاربي يحصل على هذه الشهادة من الصربون بباريس.

عاد بعدها إلى تونس في أكتوبر 1931 واقترحت عليه إدارة التعليم العمومي تعيينه في الليسي كارنو،ونظرا لروحه الوطنيّة فقد رفض التدريس في الليسي كارنو وتمسّك بالتدريس بالمعهد الصادقي لعديد الروابط الثقافيّة والروحيّة التي كان يتفاعل معها إيجابيّا.وفي أكتوبر 1934 تمّ تعيينه نائبا للمدير بالمعهد الصادقي، قبل أن تؤول إليه المسؤوليّة الأولى بالمعهد في 1944. وإثر رجوع الرئيس بورقيبة إلى أرض الوطن في غرّة جوان 1955 سمح محمّد عطيّة للأساتذة والطلبة بالتغيّب لاستقبال الرئيس بورقيبة في حلق الوادي، إلّا أنّ مدير التعليم الفرنسي لوسيان باي أمره بعدم إرجاع الطلبة الذين تغيّبوا عن المدرسة الصادقيّة إلّا مصحوبين بأوليائهم . ورغم هذا القرار المجحف ضدّه، قام محمّد عطيّة بإرجاعهم إلى صفوف المدرسة، وقد وجّه له إثر ذلك توبيخ بهذا الخصوص!». وبشأن إقالة محمّد عطيّة من إدارة المعهد الصادقي، اعتبر الدكتور عبد الجليل التميمي أنّ هذا القرار كان « بسعي من الحزب الدستوري الجديد. ثمّ وقعت محاكمته من قبل محكمة القضاء العليا من 11 إلى 18 أوت 1958 لتصدر في شأنه حكما بخمس سنوات سجنا ومصادرة كلّ أملاكه وتجريده من الصبغة القوميّة (أي الجنسيّة) لمدّة 10 سنوات، قبل أن يصدر العفو التشريعي العام، وقرار ثان باسترجاع أملاكه وهذا ما تمّ فعلا في ما بعد».

دوره في تطوير التعليم الصادقي

تبيّن عديد الوثائق أنّ تعيين محمّد عطيّة مديرا للصادقيّة أثار حفيظة غلاة المستعمرين وردود فعل غاضبة لدى المسؤولين السامين في الإدارة الفونسيّة في تونس، الّذين كانوا يخشون تأثيرات هذا التعيين السلبيّة في مسار سياسة الحماية، غير أنّ السلطات الفرنسيّة آنذاك أبدت مرونة غير معهودة من خلال تمكين بعض الأكفاء من التونسيّين من مناصب قياديّة. وما إن تولّى محمّد عطيّة إدارة المعهد حتّى سعى جاهدا إلى القيام بإصلاحات في الجوانب التنظيميّة والماليّة والبيداغوجيّة، ساهمت في تطوير مناهج المعهد التعليميّة وزادت في إشعاعه وطنيّا. تنظيميّا وماليّا، وقد قام ببناء المركّب المدرسي بخزندار، بأرض على ملك المدرسة الصادقيّة، بمنطقة باردو، قصد إيواء المقيمين من تلاميذ المدرسة إذ أصبح مقرّها بالقصبة لا يفي بالحاجة، لقلّة قاعات التدريس، رغم أشغال التوسعة على حساب بستان المدرسة، من جهته الشماليّة، حيث ركّزت الوحدات العلميّة لمخابر الفيزياء والعلوم الطبيعيّة، ممّا وفّر إضافة ذات أهميّة في تقديم تعليم عصري تتطلّبه المناهج الحديثة والتكوين المركّز المتين.

كما عمل على تنمية الموارد الماليّة للمؤسّسة من خلال إعادة تنظيم استغلال ممتلكاتها الفلاحيّة وعقّاراتها المبنيّة، بغية تطوير المدرسة والاستجابة لمصاريفها الجديدة الناجمة عن ارتفاع عدد التلاميذ الممنوحين من صندوق المدرسة،

سواء منهم من أصبحوا طلبة بالجامعات الأجنبيّة أو ممّن يواصلون تعليمهم الثانوي.[1]

أمّا بيداغوجيًا، فقد حرص في البداية على إقرار نظام اختيار الأساتذة حسب المناظرة، لكنّه اصطدم برفض نظام الحماية التي كانت تخشى ردود فعل شيوخ الزيتونة بعد ما حدث من القلاقل في جامع الزيتونة نفسه. وبعودة بعض تلاميذ الصادقيّة القدامى من فرنسا من حاملي شهادة الإجازة أو التبريز،استطاع تجديد الإطار التربوي في عدد من المواد، وأصبح تعليم شيوخ الزيتونة مقتصرا على المواد الفقهيّة. وعلاوة على إدراج مادّة التفكير الإسلامي في البرنامج، أدخل محمّد عطيّة تعليم اللاتينيّة واليونانيّة ودعّم تعليم الإنقليزيّة ووجّه عنايته أيضا إلى الشّعب العلميّة. وهكذا سارت المدرسة الصادقيّة بصفة تديجيّة في نهج سليم لتصبح معهدا ثانويّا كامل المراحل إلى الأقسام النهائيّة بمختلف شعبها (فلسفة ورياضيات وعلوم تجريبيّة)، ممّا فتح أمام التلاميذ أبواب التعليم العالي في شتّى الاختصاصات.[2]

لماذا حوكم محمّد عطيّة غداة الاستقلال؟

أفادت نجلته آمنة في شهادتها بما يلي : «أقيل محمّد عطيّة من وظيفته في جوان 1955 كمدير للمؤسّستين التربويّتين الصادقيّة وخزندار، على أساس تهمة كاذبة مفادها التواطؤ مع سلطة الاحتلال، واختلاس الأموال، ممّا أثار استنكار ابنائه الروحيين من قدامى تلامذته...وفي 11 أوت 1958 انطلقت المحاكمة الجائرة لذلك «الطفل المثابر» الذي أمسى الأب الروحي للنخب التونسيّة . إنّ المحكمة التي ستقرّر، في أقلّ من أسبوع مصير محمّد عطيّة ، هي محكمة ذات طابع خاصّ، تنتظم لغرض واحد، مقاضاته كعميل لسلطة الاحتلال، وهو الذي خضّد شوكة هذه السلطة على امتداد ثلاثين سنة، بما قام به من مقاومة، في كلّ حين، فجعل الصراع في ميدان اللغة وبتكوين إطارات تونس المستقلّة، في اللغتين العربيّة والفرنسيّة.

ومع ذلك، فقد حوكم مع فئة اللصوص والخونة.وقام بالدفاع بمفرده، عن نفسه، إلى جانب ثلاثة من أساطين المحامين، ولكن دون جدوى، إذ تقف وراء القضيّة السلطة السياسيّة الجديدة التي رزحت بكامل ثقلها مختلقة تهما واهية، دون أيّة مرجعيّة . وواصلت السلطة ملاحقته من خلال أفراد أسرته الذين دعوا قسرا إلى دفع كراء للدولة مقابل سكنى البيت الذي كان على ملكهم!». وردًا على من شكّك في وطنيّة محمّد عطيّة، قال السيد فؤاد المبزّع في

شهادته: «..أضعف الإيمان أن يقوم الانسان بردّ الجميل للصادقيّة، وردّ الجميل للصادقيّة هو أوّلا وبالذات لمحمّد عطيّة»...لم نشعر أبدا ولو للحظة أنّ هناك في الصادقيّة ابتعادا عن الوطنيّة أو عن السياسة أو غيرها.فكيف يمكن أن يكون ذلك والصادقيّة احتضنت علي بلهوان ومحمود المسعدي وجلّولي فارس؟ ....»

وأضاف أنّ محمّد عطيّة كان يحفّز تلاميذه لأخذ نصيبهم من العلم قبل الانطلاق في الحياة، دون أن يقول لهم لا تتحدّثوا في السياسة، بل كان يقرّ بحقّهم في التحدّث في السياسة دون المجازفة بأنفسهم، لكي لا يحرموا من نيل شهائد تمكّنهم من أن يكونوا إطارات عليا في البلاد. ومن المعلومات الطريفة المتّصلة بقضيّة محمّد عطيّة ما ذكره السيد عبدالعزيز قاسم، المدير العام الأسبق للإذاعة والتلفزة، إذ قال : «ذات مساء من صائفة 1982 كانت «التوجيهات»[3] مأخوذة من المحاضرة التي ألقاها الرئيس [الحبيب بورقيبة] بمعهد الصحافة وعلوم الأخبار بتاريخ 9 نوفمبر 1973 ويتحدّث المقطع عن برد باريس القارص الذي منعه من النوم في غرفته بأعلى سطح العمارة حيث لا يصل التسخين، فاضطرّ إلى الخروج لاجئا إلى غرفة زميله في الدراسة محمّد عطيّة بفندق يقع بشارع مونج، فقضى ليلة دافئة. وما إن انتهى البرنامج حتّى رنّ جرس الهاتف المباشر وكثيرا ما كان يرنّ أثناء وبعد شريط الأنباء بما لا يسرّ وتلقّيت مكالمة حانقة من شخصيّة نافذة في القصر: كيف وقع اختيار هذا المقطع ومن اختاره؟ ماذا يقول عنّا الناس: هو استضاف الرئيس في غرفته ونحن نريد إخراجه من بيته لإيواء شخصيّة فلسطينيّة.

قلت لا علم لي بذلك والمسؤول عن البرنامج يحظى بكلّ ثقتي...

ثمّ وعدت بإجراء تحقيق. كنت أعلم أنّ المؤسّسة مليئة بالوشاة... وبتّ ليلتي أفكّر في المصائر والمقادير.وباستطاعتي التأكيد بأنّ الرئيس الحبيب بورقيبة لم يكن وراء هذه الزوبعة، فقد كان يكلّمني مباشرة بما يعنّ له من ملاحظات كبيرها وصغيرها والوسيط الوحيد هو مدير المراسم الذي يقوم باستدعائي إلى القصر لمقابلة الرئيس، إلّا أنّ فاعلي الخير في البطانة كثر يتلهفون إلى جمع الأخبار السامّة ولي من هذه النوادر ما يملأ مجلّدا من الحجم المتوسّط...»

إنّ ما قُدّم من شهادات يؤكّد من دون شكّ نزاهة محمّد عطيّة ووطنيّته ويبرز تفانيه في خدمة القطاع التربوي، مثلما يثبت أنّ مظلمة صارخة لحقت بالرجل وبعائلته، غير أنّ أسئلة محيّرة تظلّ عالقة : ما الذي دفع ببورقيبة، غداة مسكه بمقاليد السلطة ـ إلى محاكمة زميل له آواه ذات ليلة من ليالي شتاء باريس القارص وهو طالب؟ هل كان قرارا شخصيّا ام كان نتيجة تحريض من بعض الأطراف الحاقدة ؟ وما هي الأسباب الخفيّة الكامنة وراء ذلك؟ تلك حقيقة يجدر البحث عنها.

أليست كلّ حقيقة نسيانا لحقيقة أخرى؟ ■

ع.هـ.

1 ـ من مداخلة الأستاذ علي حمريت

2 ـ المصدر السابق

3 ـ «توجيهات الرئيس» مقتطفات من خطب وكلمات الرئيس بورقيبة كانت تبثّ قبل شريط الأنباء في التلفزة التونسيّة. وكان بورقيبة يرتاح لسماعها لأنّها تعطيه انطباعا بأنّه ما زال على اتصاله المباشر بالشعب وعادة ما تكون هذه المقتطفات متماشية مع الوقائع والأحداث الجارية وقد لا ترتبط بأيّ منها.

حسناء جنوة التّي غيّرت تاريخ الدّولة الحسينيّة

(الجزء الثاني)

بقلم مختار المستيسر

رغم الحراسة المشددة التي ضربت عليه، تمكن علي باشا الحسيني من التسلل خارج أسوار مدينة تونس مساء الجمعة 20 فيفري 1728 م؛ والتحق بأنصاره في جبل وسلات غرب مدينة القيروان، معلنا ثورته على عمه الحسين بن علي. وترجع بذور الخلاف بين الرجلين إلى بداية الدولة الحسينية، حين لم يكن لمؤسسها ولد ذكر من زوجاته؛ فرأى من الحكمة أن يكلف ابن أخيه الشاب علي بن محمد بمهام «باي الأمحال» والتي تعني قيادة الجيش في غيابه؛ بما يؤهله عمليا لوراثة العرش من بعده. لكن تشاء الأقدار أن تقع فتاة جميلة، أصيلة مدينة جنوة الإيطالية، في أسر قرصان تابع للباي؛ فيتزوجها هذا الأخير، وتنجب له بداية من سنة 1710م أربعة أبناء وبنت. منذ تلك الفترة، شرعت حاشية الباي في الضغط عليه لتمكين نجله البكر محمّد من ولاية العهد، خاصة مع اشتداد عوده وظهور بوادر نبوغه. لكن حسين باي بقي متهيبا من عواقب إزاحة ابن أخيه عن المنصب الرفيع الذي اعتلاه لأكثر من عقد ونصف ...

كيف سحب حسين باي ولاية العهد من ابن أخيه علي؟

في شتاء سنة 1724 م كان باي الامحال في بر الجريد، على رأس المحلّة التي استخلصت الضرائب. ولمّا انتهى من مهمّته، استأذن في العودة إلى الحاضرة من عمّه، الموجود بالقيروان على رأس محلّة ثانية. واستقبلته كالعادة حاميات وحصون تونس بالأعلام وبدويّ المدافع التي يجيبها العسكر ببارود المكاحل؛ ودخلها في موكب مهيب، تسبقه من الأمام على يمينه عسكر الترك، المشاة، ومن خلفه من اليسار صبايحية الترك، الخيّالة. ولمّا عاد الباي واستقبله أبناؤه وقبّلوا يده، قارن بين وضعيّة ابنه البكر، الذي لم يكن له أي وظيف في الدولة وبين وضعيّة ابن أخيه صاحب المنصب الرفيع الشأن، وتملكته الغيرة ... عندها قرّر أن يتحرّك.

بدأ الباي باستشارة الشيخ العالم «إمام المفسرين في عصره» محمد زيتونة المتوفي يوم 7 جوان 1726م، في تقديم ابنه محمد باي للسفر بالمحال؛ لكن الشيخ تحفظ عن مجاراته، وقال له : «هذا أمر مهم يجب فيه التأني والتثبت وربما سيكون سببا في فتنة بين الناس». وعندما أجابه الباي : «لا تخشى شيئا فإن افريقية كسجادة طويتها وجلست عليها»، ارتعد الشيخ فرقا من هذه المقالة، وقال : «الآن خفت عليك حيث اعتمدت على حولك وقوتك وأعجبت بنفسك»؛ وخرج خائفا على صاحبه. غير أنّ الباي عزم بلا تراجع على تقديم ابنه للسفر بالمحلة، لبلوغه في نظره مبلغ الرجال وتأهله لأعلى المراتب. لذا أحضر أحد ثقاته من المتصفين بالدهاء، ودعاه لنصحه واستنباط الحل الأمثل لتحقيق مبتغاه، مع ضمان إرضاء ابن أخيه، الذي لا يمثل له حسب رأيه «أي مشكلة». فأجابه الرجل : «من الثابت أن ابنك مقدم على ابن أخيك. ولكن ابنك غير معروف، على خلاف ابن أخيك الذي تعود العسكر وأعيان الدولة على رأيته ... لذا اقترح عليك أن ترسل وفدا إلى السلطان في اسطنبول محملا بأنفس الهدايا، وتطلب من «الصدر الأعظم» أن يخلع لقب باشا تونس على ابن أخيك، مع منحه «فرمان» في ذلك . وبعدها يمكنك تكليف ابنك بقيادة العسكر؛ ثم تنيط إليه إثر مدة قصيرة بعهدة عرشك، من غير أن يغضب سلفه. وجرت الأمور كذلك، حيث عاد الوفد بعد أشهر مكللا بالنجاح؛ فقام الباي بتهيئة دار رمضان باي وطلب من ابن أخيه أن يقطن بها؛ وأرسل له الفرمان الذي عين بمقتضاه باشا تونس. فشكر علي عمه وقبل يده وتظاهر بالقبول؛ ودخل مدينة تونس ولبس الفرمان في موكب مشهود، تحت وقع دوي المدافع المرحبة به .

لكن عندما حان وقت خروج المحلة في السنة الموالية 1725 م، علم أن الباي قرر منح قيادتها إلى ابنه محمد، الذي كان عمره 15 سنة؛ وثبتت ظنونه وهمسات أنصاره منذ مدة، من أن منحه لقب الباشا لم يكن إلا مناورة لإبعاده عن الحكم؛ فكتم غيظه وتحول إلى باردو، ليهنئ عمه ... ولما تهيأت المحلة للسفر، استأذن علي باشا من الباي في توديع ابن عمه محمد خلال استعراضه للجند، وذلك لمزيد تمتين العلاقة بينهما، فوافقه. وخرج علي باشا في بدلة عسكرية فاخرة، راكبا فرسه الصفراء الجميلة؛ وكان وسيما وصاحب بنية جسمية مهيبة، مع قامة فارعة أطول من قامة ابن عمه الذي لم يكتمل نموه بعد. لذلك خطف كل الأنظار نحوه. وكان وراءهما أحمد شلبي الذي عينه الباي للسهر على ابنه. انزعج شلبي من تصرف الباشا، ولم يهنأ له بال إلا بعد انتهاء الاستعراض. ولما عاد علي باشا إلى منزله وبقي وحده، تأكد أن الدوائر بدأت تدور عليه بعد العز، وأن شأنه دنا عند الناس؛ واستصغر خطة الباشا لأنها حرمته من لذة الأسفار والتنقل من عمالة إلى أخرى، وأصابته غصة من تقدم ابن عمه لقيادة الجيش، لما يرى في نفسه من تفوق عليه؛ فأحزنه ذلك كله كثيرا وأشعل في داخله شرارة سامة بدأت تعظم إلى أن أصبحت لهيبا.

عادت المحلة إلى تونس ونزلت بخيمة الحرايرية؛ وخرجت فيالق حصون تونس وأعيانها لاستقبالها والدخول معها كالعادة إلى العاصمة بمهرجانها الفخم. يومها رافق علي باشا ابن عمه محمد « باي الامحال» الجديد، ممتطيا كالعادة فرسه الأنيقة؛ ولكنه تعمد استباق الأمير الشاب ببضع خطوات فغطى رأيته على الناس. لم يطق أحمد شلبي تحمل هذا المشهد، وتقدم من الباشا مخاطرا بحياته وقال له : « تأخر قليلا يا سيدي وامش حذو ابن عمك، لكي تبق معه على نفس الخط». لم يجبه الباشا، ولكن نظر إليه ولسان حاله يقول: «لو كان لي سيف لقطعت رأسك حالا».

بمثل تلك المواقف، تكاثرت الأقاويل وعقارب الوشاية بينه وبين عمه؛ إذ تأكد للباي ضيق نفس ابن أخيه وسوء ظنونه، ودعاه نصحاؤه لردعه دون توان؛ فنصب عليه العيون لمراقبة تحركاته. كما علم الباشا من جهته أن خصومه أوغروا صدر الباي عليه؛ فخاف على نفسه من القبض عليه، وأدرك أنه لم يعد له مكان في تونس، وشرع في إعداد العدة مع أخلص أنصاره، للهروب إلى جبل وسلات الذي وعدته وجوه عشائره بمساندته. هكذا أمكن له الفرار مساء تلك الجمعة من أوائل سنة 1728 م.

الحرب الأهلية بين الحسينية والباشية

أسر حسين الباي لبعض خواصه أنه ندم على عدم الأخذ بنصيحة من حثه على سجن أو قتل ابن أخيه، الذي بدا واضحا منذ مدة أنه كان يضمر الشر لعرش عمه.

وبعد أن فشلت كل محاولاته للتصالح معه، بدأت الحرب الأهلية بين الطرفين بداية من جبل وسلات؛ وكانت فتنة طاحنة وشنيعة، خربت المدن والقرى وأهلكت الحرث والنسل وأسالت أنهارا من الدماء وفرقت بين الأهالي، وبنت بينهم جبالا من الأحقاد الدفينة، لم تهدأ سواكنها إلا بعد عقود. فقد انقسمت تونس بحضرها وعربانها إلى فريقين:

فمن الحسينية : القيروان وسوسة والمنستير والمهدية والقلعة الكبرى وصفاقس وقرى من الساحل؛ ومن قبائل العربان بنو رزق وأكثر عروش دريد وقبائل جلاص وأولاد عون وأولاد سعيد والهمامة. ومن الباشية: مساكن وجمال والقلعة الصغرى وأكودة وزاوية سوسة وجبل وسلات وقبائل ماجر والفراشيش وأولاد عيار وأولاد سعيد، وغيرهم. وهكذا نهبت القصور، بما فيها قصر باردو، وضاعت ثروات البلاد العلمية والمادية الثمينة، وخربت وهدمت مدن بصفة شبه كاملة كالقيروان والقلعة الكبرى، وقتل من أعيان وأهالي الكاف وباجة وسوسة والمنستير وصفاقس وغيرها خلق كثير على مدى سنوات؛ لأن كل فريق منتصر - ولقد تداولا على الانتصار لسوء الحظ - كان ينتقم بشراسة من المدن والقرى والقبائل المساندة لخصمه... انتهت الجولة الأولى من الصراع، والتي امتدت حوالي سبع سنوات، بانتصار الحسين بن علي، بعد جهد جهيد وخسائر بليغة في الجند والعتاد والمال؛ وفر ابن أخيه علي باشا إلى الجزائر، حيث سجنه حاكمها المساند لعمه، ودخل ابنه يونس الفيافي بين العروش البعيدة المناصرة له.

بعد بضع سنوات من ذلك، وإثر عودة حسين باي إلى قصر باردو بعد إحدى حملاته، حدث ما لم يكن في الحسبان؛ إذ غادرت «ماريا دوريا – منانة» تونس، برضا زوجها على الأرجح ولدواعي غير معلومة يقينا، وعادت إلى مسقط رأسها جنوة؛ وهو ما أثبتته أخيرا الباحثة الإيطالية « ماري تيراز بوهاجيار»؛ بينما واصل أخوها مصطفى جنويز مكوثه مع صهره في تونس، بوصفه قائدا للمدفعية. وانتهى بها المطاف، بعد أن رفض والدها قبولها في البيت، إلى أن دخلت أحد الأديرة.

وتشاء الأقدار أن يموت داي الجزائر المساند للحسين باي، ويرتقي هناك حاكم جديد إلى السلطة هو ابراهيم باشا؛ فيخرج علي باشا من السجن، ويجهز له سنة 1735 م جيشا قويا، مكنه من الانتصار على غريمه في معركة شهيرة بجهة سمنجة. وفر الحسين بن علي مع فلول أنصاره وأبنائه محمد وعلي ومحمود إلى مدينة القيروان؛ وانتصب ابن أخيه علي باشا بايا على تونس، حيث تواصل عهده إلى سنة 1756 م.

وفي يوم الجمعة 13 ماي 1740 م، الموافق 16 صفر 1153، وإثر حصار مرير لمدينة القيروان دام حوالي خمس سنوات، أفنى أهلها وحولها إلى خراب، أمكن لجيش يونس بن علي باشا، أن يهدم جانب من سورها ويدخلها. ففر الحسين بن علي من الباب الغربي على فرس شقراء معروفة بالسبق. ولكن خيل جنود يونس لحقت به وقتلته وجرحت جميع رفاقه، وأصيبت فرسه بطلقة نار، فوقعت أرضا بصاحبها؛ ولم يجرأ أحد على الاقتراب من الباي حسين إلى أن لحق بهم يونس؛ فترجل وسل سيفه. حينها قال له عم أبيه : «أتخضب شيبي بدمي يا يونس وقد طهرت – أي ختنت - أباك في حجري، وأعطيت البشارة لمن زف لي خبر ولادتك ؟» فقال له يونس : «الملك عقيم يا سيدي»، وتقدم فطرحه أرضا ووضع رجله على وجهه وطعنه حتى أرداه. ثم أمر ضابطاً يدعى عثمان آغة بقطع رأسه، فأبى معرضا حياته للخطر. تمالك يونس نفسه وأخرج منديله وطرحه أرضا، وتولى فصل رأس عمه عن جسمه، ووضعها في المنديل وحملها إلى القيروان، حيث أراها للجند حتى يتحققوا من الانتصار. ثم أرسل الرأس إلى والده في باردو؛ وقيل إنّ الباشا بكى لرؤيتها وأنكر فعل ابنه. ولكنه لم يمنعه ذلك من إرسالها إلى القصبة، حيث وضعت فوق «القبة» المعدة لذلك - ولكم عرضت هناك من جثث ورؤوس الحكام والأعيان والثوار والعامة خلال تلك الحقب؟-، لكي يراها أهل العاصمة. وبعد ساعة من الزمن حملت إلى تربة سيدي قاسم السبابطي حيث دفنت. وسخر يونس أحد أصحاب العربات - كرارطي - لحمل جثة الحسين بن علي تركي على عربته إلى باردو؛ فأمر الباشا بتحويلها إلى التربة المذكورة، حيث تم غسلها ودفنها مع الرأس، حيث لا تزال موجودة إلى اليوم. هكذا انتهت حياة مؤسس آخر دولة ملكية في تونس قبل إعلان الجمهورية.

ولقد انتهى حكم علي باشا سنة 1756 م، بعد أن شهد عهده ثورة ابنه يونس عليه ووفاة ابنه سليمان مسموما على يدي ابنه الآخر محمد. فقد عاد ابنا عمه محمد وعلي من منفاهما بالجزائر، بعد غربة دامت 16 سنة، بمساعدة حاكم آخر للجزائر يدعى حسن باي– مرة أخرى-. وانتهت حياة علي باشا مخنوقا على يدي مماليك «رواما» - أي أوروبين- بأمر من القائد الجزائري؛ وعرضت جثته في القصبة ليراها الناس قبل دفنها في التربة، كما فعل برأس عمه قبل 16 سنة ... وقتل معه ابنه محمد وأخوه مراد وحفيده نعمان، وغيرهم كثر. واستولى على الحكم محمد باي 1756 – 1759 م، ثم أخوه علي باي 1759ـ1782م، ابنا الحسين باي، كما تنبأ بذلك الرجل المجذوب في ضريح سيدي عبد الوهاب سنة 1708 م؛ ودام حكم أبنائه وأحفاده إلى يوم 25 جويلية 1957.

أما والدتهما، حسناء جنوة، فقد امتد بها العمر إلى سنة 1789 م، أي أنها عاشت قرابة القرن حسب الوثائق التي أخرجتها إلى النور مؤخرا الأستاذة «ماري تيراز بوهاجيار»؛ وتكون بذلك سخرت حياتها وهي في شرخ الشباب للصلاة والعبادة، علها تكفر حسب اعتقادها عن الذنب الذي اقترفته بالارتداد عن دينها؛ واختارت العيش، بعد سنوات الملك العشرين في حريم باي تونس، زاهدة ومنعزلة عن الدنيا داخل دير حوالي 54 سنة؛ رغم أن ابنها محمد ومن بعده ابنها علي، ثم حفيدها حمودة باشا كانوا يحكمون البلاد التونسية. والطريف أن ابنها علي كان تزوج جارية علجية - كنيتها محبوبة-، أيام منفاه في الجزائر، وأنجب منها فتاة سماها «آمنة» أو «منانة» على اسم والدته، أي جدتها؛ وهي أخت حمودة باشا بـــاي الحسيني 1782ـ1814م وزوجة محمود باي ابن عمها محمد الرشيد باي 1814ـ1824م، وهي أيضا والدة كل من الحسين باي الثاني 1824 ـ 1835م ومصطفى باي 1835ـ1837؛ وكل البايات الذين حكموا تونس بعد هؤلاء من أحفادها.

تلك هي القصة المثيرة التي جرت مختلف أطوارها في الربوع التونسية منذ حوالي ثلاثة قرون؛ وأصبحت بعض فصولها، الحلوة والمرة، حديث الأسمار، وسيرة أبطالها عبرة لمن يعتبر في أرجاء البلاد جيلا بعد جيل، إلى عهود الحماية الفرنسية. ولله في خلقه شؤون وله العاقبة في الأول والآخر.■

م.م

ftusa
Tunis Re
...your risk is our business
لقاء قرطاج الثالث عشر
للتأمين وإعادة التأمين
«التأمين، الإستثمار والتنمية»
تونس 8 و9 و10 نوفمبر 2015
نزل قرطاج طلاسو–قمرت
The 13th Insurance and Reinsurance Carthage Meeting
" Insurance, Investment and Development"
Tunisia from 8th to 10th November 2015
Hotel Carthage Thalasso-Gammarth
http://www.rdv-carthage.com

أضـــواء على المؤتمـــر الخـــامـس

(صفاقس 15 - 19 نوفمبر 1955)

بقلم محمّد لطفي الشّايبي

مضت ستّون سنة عن انعقاد المؤتمر الخامس للحزب الحرّ الدستوري الجديد، قاطرة الحركة الوطنية التونسية، بصفاقس، عاصمة الحراك الاجتماعي النقابي العمّالي التّونسي التي شهدت وضع اللّبنة الأولى لتأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل إثر ميلاد النقابات المستقلة بالجنوب (19 نوفمبر 1944) بإشراف الزعيم النقابي فرحات حشاد.

للحـزب الحـرّ الدستـوري التونسـي

وازداد في الآونة الاخيرة نسق إنارات المؤرخين وشهادات الفاعلين حول هذه الفترة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، مذكّرات القياديين النّقابيين الحبيب عاشور ومحمّد كريّم وعبد العزيز بوراوي والمناضل الدستوري المتعاطف مع اليوسفيّة، حسب توضيحه، الطاهر عميرة. وتزيح هذه الإنارات الستار عمّا خفى أو توارى مـن ملابسات و تداعيات، استحضارا لخلفيّات أوّل مؤتمر علني عقده الحزب الحرّ الدستوري الجديد منذ سنة 1937، تاريخ انعقاد مؤتمر«نهـج التريبونال» (31 أكتوبر- 2 نوفمبر 1937) الذي كرّس انتصـار التيار الراديكالي بزعامة الكاتب العـام الحبيب بورقيبة على حسـاب التيار المعتدل بزعامة الرئيس الدكتور محمود الماطري وأعدّ العدّة لمواجهة سيـاسة الحماية. التأم مؤتمر صفاقس ليحسم الصراع على الزعامة بين بورقيبة وصالح بن يوسف، لصالح «المجاهد الأكبر» الحبيب بورقيبة، هو صراع ترجع جذوره إلى تبعات استقالة الدكتور محمود الماطري من رئاسة الحزب (13 جانفي 1938) التي بقيت شاغرة. وآلت الرئاسة بالنيابة إلى الدكتور الحبيب ثامر، مهندس المقاومة السرية، بعد حلّ الحـزب بأمر عَليّ إثـر حـوادث 9 أفريل الدامية، واستمرّ الدكتور ثامر في إدارة وتفعيل المقاومة (1939 – 1941) التي سبّبت له السجن وصدور حكم بالأشغال الشاقة بشأنه، ثمّ أفرج عنه أثناء الاحتلال الألماني – الإيطالي للإيّالة (8 نوفمبر 1942 / 13 ماي 1943) وواصل مهامه إلى حدود رجوع الزعيم بورقيبة من روما في 9 أفريل 1943. فما هو الإطار التاريخي لبداية الصراع اليوسفي – البورقيبي الذي ظلت حيثيّاته لفترة طويلة مسكوتا عنها أو مجهولة ؟ وما هي رهاناته إبّان مؤتمر صفاقس، «مفترق الطرق»، ساعة التأسيس لدولة الاستقلال ؟

جذور الصراع اليوسفي-البورقيبي

إنّ المتأمّل في الإطار التّاريخي الذي حفّ بنشأة الصراع اليوسفي ـ البورقيبي على الزعامة وتطوّراته يتبيّن أنّ هجرة الزعيم بورقيبة إلى الشرق (مارس 1945) لتدويل القضيّة التونسيّة في جامعة الدول العربيّة (سنة 1946) وجمعيّة الأمم المتّحدة بنيويورك (سنة 1947) وما نتج عنهما من خيبة شكّلت الدّافع للزعيم صالح بن يوسف ليشرع في عمليّة تجاوز رئيسـه كما أكّده لي المناضل جلّولي فارس، مندوب الحزب الحرّ الدّستوري التونسي بباريس (1947 ـ1949) وهمزة الوصل بين الديوان السّياسي بتونس ومكتـب المغـرب العـربي بالقاهرة. لقد تمكّن الزعيم صالح بن يوسف إثر دعوة مؤتمر الحزب للانعقاد (مؤتمر دار سليم 17 أكتوبر 1948) من السّيطرة على جهاز الحزب وإبقاء الرّئاسة الشّرفيّة للزعيم بورقيبة الذي فقد صلوحيّة التصرّف المالي، بل آل الأمر إلى حدّ المطالبة برفت الزعيم بورقيبة من الحزب في المجلس المالّي للحزب المنعقد في شهر أوت 1949، وهو الأمر الذي جعل الزعيم بورقيبة يقرّر العودة في 8 سبتمبر 1949. وقد فاجأت هذه العودة الزعيم صالح بن يوسف والقصر الحسيني واللجنة التنفيذية للحزب ولم يكن المقيم العام «جون مونص» يرغب فيها. وأمكن للزعيم بورقيبة إقناع وزارة الشؤون الخارجيّة الفرنسيّة، عن طريق سفارتها بالقاهرة، بأنّه اذا ما وافقت السلطة الفرنسيّة على تسهيل عودته (أي حصوله على التأشيرة لأنّه غادر البلاد التّونسيّة خلسة سنة 1945)، فإنّه سوف يقدّم عرضا معقولا من شأنه السّير بالقضيّة التّونسيّة نحو الحلّ (برنامج النقاط السبع، 7 أفريل 1950).

مقتطفات من خطاب بورقيبة في مؤتمر صفاقس

«... إننا بفضل الاتفاقيات]بشأن الاستقلال الداخلي [ستنمكّن من رفع مستوانا الاقتصادي والاجتماعي بكامل الحريّة فلا يوقف سيرنا شيء كتأشيرة المقيم العام أو الكاتب العام أو وزراء فرنسيين فلنستثمر إذن جميعا ما تحويه هذه الاتفاقيات من الإمكانيات استثمارا كاملا لنحقق ما يصبو إليه شعبنا من رفاهية وكرامة.

«ولمؤتمرنا هذا أن يطالب بمراجعة بنود الاتفاقيات و فصولها إذا اقتضى الحال و ذلك عملا بما جاء في الفصل 24 من الاتفاقية العامة. و فعلا ففي القريب العاجل ستفتح مذاكرات بين حكومتنا والحكومة الفرنسية في شأن تكوين قوة تضامنية تكون نواة جيش يحفظ كيان دولتنا، و الاتفاقيات تمكن حكومتنا من تسطير ما تراه صالحا من البرامج و تنفيذها دون أن يعرقل أعمالها أجنبي، وهذا ما يدعو مؤتمرنا هذا إلى أن يسطر للحكومة برامج اقتصادية و اجتماعية كفيلة برفع مستوى الطبقة الشغيلة و الشعب التونسي في الميادين الثقافية والصناعية و غيرها.

«ثقوا أننا إذا احترمنا العهود سيعود ذلك بالنفع العميم إلى إخواننا من الجزائريين و المغاربة و يرجّح كفّتهم، و ها هو اليوم قد رجّحت كفة المغرب و سترجح كفة الجزائر في القريب العاجل إن شاء الله.
«وإذا رجّحت الكفة في أقطار الشمال الإفريقي الثلاثة تغيّر الوضع السياسي بتمامه وكماله وتصبح الاتفاقيات نفسها من الأمور التي فاتت بفوات وقتها فتفتح إذّاك مفاوضات جديدة على أساس جديد ونتمكن من توحيد صفوف المغرب العربي و ربط أمتن الصلات بيننا و بين عمومتنا.

«أما القرار الذي اتخذناه ضدّ الأستاذ صالح بن يوسف فقد اضطررنا دفعا لكل التباس وحتى لا نظهر أمام الدولة التي تعاقدنا معها بمظهر من يلعب على حبلين و من يقول ما لا يضمر و من هو لا في حرب ولا في سلم».

ورجع الزعيم كاظما غيظه بسبب ما قام به الزعيم صالح بن يوسف طوال إقامته في الشّرق، وكان هاجسه إعداد العدّة للمقاومة العنيفة التي ستندلع إثر فشل المفاوضات التونسيّة الفرنسيّة (مذكّرة 15 ديسمبر 1951).

وتأكّدت قراءته الاستشرافيّة للأحداث بفشل مفاوضات حكومة شنيق مع الحكومة الفرنسيّة واندلعت المقاومة في جانفي 1952 التي ستستمرّ من دون انقطاع إلى حدود العرض الذي تقدّم به رئيس الحكومة الفرنسيّة «بيار ماندس فرانس» إلى الباي في خطابه بقصر قرطاج يوم 31 جويلية 1954 والذي أكد فيه استعداد حكومته للاعتراف بالاستقلال الدّاخلي فحسب للدولة التونسيّة في إطار التّفاوض بين الطرفين.

وأفضت المفاوضات بين الجانبين إثر تشكّل حكومة الطاهر بن عمّار (أوت 1954 ـ أفريل 1956) إلى إعلان الإتّفاق (21 أفريل 1955) بعد مناقشات عسيرة كادت أن تغلق باب التّفاوض حول مضمون الاتّفاقيّات التونسيّة ـ الفرنسيّة التي أدّت إلى الاستقلال الداخلي التونسي بإقرار وجوب انتخاب برلمان تونسي.

عوامل انتصار المنهاج الزعاماتي البورقيبي

كان الزعيم بورقيبة مقيما حين ذاك في قصر «Ferté» بضواحي باريس يتابع ويتدخّل كلّما اعترضت الزعيم المنجي سليم صعوبة في اقتلاع مقوّمات السّيادة للاستقلال المنشود في حين كان الزعيم صالح بن يوسف يشارك في أشغال «مؤتمر باندونغ» (أفريل 1955) بأندونيسيا الذي أقرّ حقّ شعوب المغرب العربي في الاستقلال. ويمكن القول إنّ الزعيم صالح بن يوسف فاجأته الإتّفاقيّات التّونسيّة ـ الفرنسيّة التي اقرّت يوم 21 أفريل 1955 والمبرمة بين الطّرفين يوم 3 جوان 1955 إثر رجوع الزعيم بورقيبة المظفّر في غرّة جوان 1955 وشرع في نقد هذه الاتفاقيّات ومعارضتها في حين باغت الزعيم بورقيبة اندلاعُ الثّورة الجزائريّة في غرّة نوفمبر 1954 ولم يكن على بيّنة بخصوص الاتّفاق الحاصل بين جمال عبد النّاصر وصالح بن يوسف وأحمد بن بلّه، بشأن الاعداد لهذه الثورة.

وأفضى ذلك إلى إذكاء الخلاف بين الزعيمين الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف إثر عودة بن يوسف إلى تونس يوم 31 سبتمبر 1955، واتّخذ هذا الخلاف منحى عنيفا.

مؤتمر الحسم

تمت الدّعوة إلى انعقاد مؤتمر الحزب لمناقشة الاتفاقيّات المبرمة والبتّ في النزاع القائم بين الزعيمين. وأبدت جامعة تونس والأحواز الدستوريّة مناصرتها للمعارضة اليوسفيّة، الشيء الذي جعل الزعيم بورقيبة يقبل العرض الذي قدّمه له القيادي النّقابي الحبيب عاشور بحضور رفيقه محمّد كريم والمتمثّل في عقد المؤتمر بصفاقس (17 نوفمبر 1955). وقد أظهر الزعيم بورقيبة من خلال خطابه في مؤتمر صفاقس قدرات فائقة في الإقناع وبراغماتية في التعاطي مع تحوّلات الراهن المعيش . فهو من زمرة الذين يتماهون مع الحِكْمَة السياسية الانقلوسكسونية التي تقول بأنّ « قناعات

الإنسان هي خيار بين بدائل وأن البدائل تتغيّر مع الزمن». أي بما معناه أنّ صيغة الاقتراح الذي عرضه «بيار مندس فرانس» في جويلية 1954 في خصوص الاستقلال الداخلي بعد هزيمة «ديان بيان فو» (ماي 1954) و ما وافق عليه «إدغار فور» مع الحكومة التونسية التفاوضية بشأن الاتفاقيات الفرنسية - التونسية (أفريل – ماي 1955) إبّان مؤتمر باندونغ (أفريل 1955) قد تجاوزه الزمن اعتبارا للاتفاق الذي حصل بين رئيس الحكومة الفرنسية، المستقلّ «أنطوان بناي» Antoine Pinay و السلطان المغربي محمد الخامس يوم 6 نوفمبر 1955 « لفتح مفاوضات بين الطرفين تمكّن المغرب من الحصول على صفة دولة مستقلة مرتبطة بفرنسا ارتباطا حرّا» أي «التصريح بكلمة «الاستقلال» الساحرة التي لم تتضمنها عمدا الاتفاقيات الفرنسية - التونسية».

و لم يكن المندوب السامي «روجي سيدو» في التقرير التلغرافي الذي أرسله إلى وزارة الإشراف يجامل الزعيم بورقيبة عندما اعتبر خطابه « من الخطب الأكثر اكتمالا في مسيرته السياسيّة...التي تزخر بالصّيغ الذّكية، المُوجعَة أو الدقيقة حسب الظروف، والمُسْهبة في الطول رغم حالة إعياء الزعيم الذي أطلق العنانَ لأفكاره». فبقدر ما اجتهد الزعيم بورقيبة في إقناع المؤتمرين برجاحة خطّته النّضالية التحرّرية ونجاعتها، كان في الوقت نفسه يعمل على دحْض مقاربة خصْمه وغريمه الزعيم صالح بن يوسف.

وصفوة القول إنّ مؤتمر صفاقس يبيّن أنّ الزعيم الحبيب بورقيبة يمتلك كافة مواصفات الزعامة من «كاريزما» وشغف بالقضية وشعور بالمسؤولية وبعد النظر الاستشرافي و قدرة فائقة على الإقناع باللسان والقلم وخاصة الشجاعة السياسية التي كانت تعوز الزعيم صالح بن يوسف إذ كتب المناضل الرشيد إدريس في مذكّراته وهو الذي لقّب معية رفاقه في جريدة « تونس الفتاة» سنة 1939 الزعيم بورقيبة بـ» المجاهد الأكبر» ما يلي:

«فلو اتبع الأستاذ صالح بن يوسف ما أسْديَ له من نصح من أصدقائه وإخوانه في الكفاح وضحّى بشيء من العناد والأنانية في سبيل الشعب و المبادئ العليا ولم يتبع الهوى ونصائح من ضلّله ويُضلّله ومن شجّعه أو يُشجّعه في هـذا السبيل الأعوج الذي يسير فيه، لو اتّبع سبيلا سويا في إصلاح الحزب والعمل من أجل استقلال البلاد، لكنّا جميعا يدا واحدة نتعاون في إطار الاتفاقيات أو خـارجها على تحقيـق أهداف البلاد ولكنه تعالى واستكبر أن يأخذ النصيحة التي أسديت له مرارا... ».■

م.ل.ش.

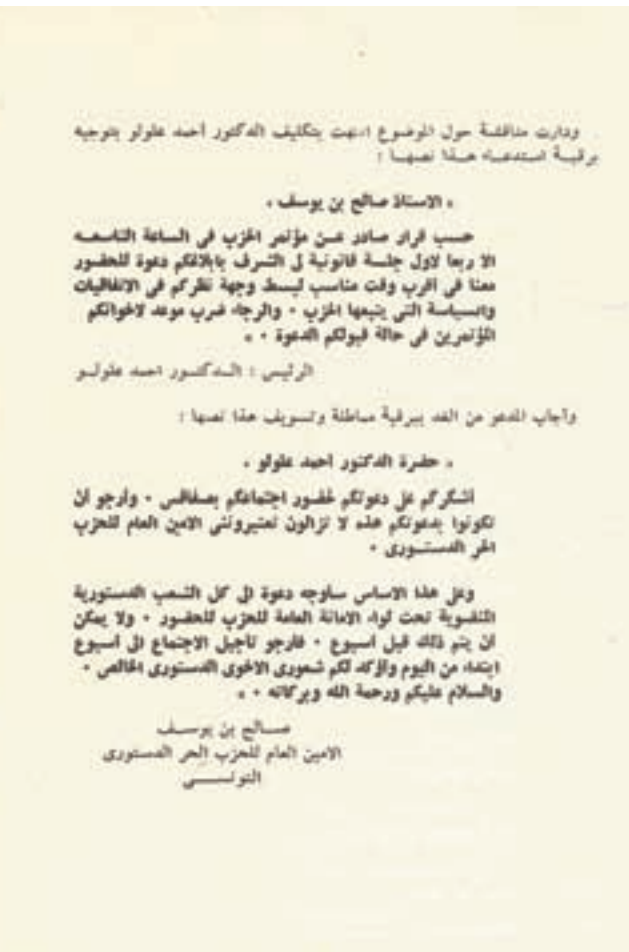

وداريت مناقشة حول الموضوع انتهت بتكليف الدكتور أحمد علوان بتوجيه برقية استفتاء هذا نصها :

« الاستاذ صالح بن يوسف »

حسب قرار صادر عن مؤتمر الحزب في الساعة الثامنة الا ربعا لاول جلسة قانونية ل الشرف بالاتكم دعوة للحضور معنا في اقرب وقت مناسب لبسط وجهة نظركم في الاتفاقيات والسياسة التي يتبعها الحزب • والرجاء ضرب موعد لاخوانكم المؤتمرين في حالة قبولكم الدعوة • »

الرئيس : الدكتور احمد علوان

وأجاب الغد من الغد ببرقية مماثلة وتسويف هذا نصها :

« حضرة الدكتور احمد علوان »

أشكركم على دعوتكم لحضور اجتماعكم بصفاقس • وارجو أن تكونوا بدعوتكم هذه لا تزالون تعتبرونني الامين العام للحزب الحر الدستوري •

وعلى هذا الاساس سأوجه دعوة الى كل الشعب الدستورية التفوية تحت لواء الامانة العامة للحزب للحضور • ولا يمكن ان يتم ذلك قبل اسبوع • فارجو تأجيل الاجتماع الى اسبوع ابتداء من اليوم وتأكدوا لكم شعوري الاخوي الدستوري الخالص • والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته • »

صالح بن يوسف
الامين العام للحزب الحر الدستوري
التونسي

خفايا عن مؤتمر صفاقس تكشفها «ليدرز العربيّة»

إذ تتناول «ليدرز العربيّة» ظروف انعقاد المؤتمر الخامس للحزب الحرّ الدستوري وتداعياته على مسيرة الحزب وتأثيراته في مستقبل تونس، فإنّها تعتبر أنّه من المهمّ النبش في الذاكرة وكشف حقائق تاريخيّة سعى البعض إلى طمسها وتغييبها.

تسميتان لمؤتمر واحد

أُطلقت في البداية تسمية «مؤتمر البعث» على مؤتمر صفاقس، لكن سرعان ما تمّ العدول عن هذه التسمية عند الحديث عن المؤتمر، لسبب ايديولوجي واضح، تفاديا للخلط بين فكر الحزب الحرّ الدستوري وفكر حزب البعث.

لماذا الباهي الأدغم، رئيسا للمؤتمر؟

ترأّس الجلسة الافتتاحيّة للمؤتمر الدكتور أحمد علولو، رئيس جامعة صفاقس الدستوريّة الذي اضطلع بدور مهمّ في انعقاد المؤتمر، لكن رئاسته آلت في نهاية الأمر إلى السيد الباهي الأدغم. وأسّر لنا مصدر عليم أنّ بورقيبة حرص على ذلك بغية استقطابه، إذ كان محسوبا على التيّار اليوسفي. ومنذ ذلك الحين، سيكون السيد الباهي الأدغم عضد بورقيبة الأيمن في الحزب والدولة لفترة تناهز 15 عاما.

ردّ الزعيم صالح بن يوسف على دعوته إلى حضور المؤتمر

فاجأ الزعيم صالح بن يوسف المؤتمرين بردّه على البرقية التي وّجهت إليه إلى حضور المؤتمر، إذ رأى فيها اعترافا به كأمين عام وقد طالب بتأجيل الاجتماع إلى أسبوع لدعوة كلّ الشعب الدستوريّة إلى حضوره. ووصفت برقيته في الوثائق الرسميّة الصادرة عن المؤتمر، بعد أن استقرّ الأمر لبورقيبة، بـ« برقية مماطلة وتسويف».

غياب الطيّب المهيري

غاب السيد الطيّب المهيري، مدير الحزب، عن المؤتمر، إذ كان آنذاك مريضا بأحد المستشفيات بباريس. ولم يمنع غيابه من تعيينه في الديوان السياسي المنبثق عن المؤتمر.

عاشور يؤمّن المؤتمر

عندما فكّر بورقيبة في مكان آمن لعقد مؤتمر الحزب، أكّد له السيّد الحبيب عاشور أنّه قادر على توفير حراسة للمؤتمر وضمان حسن سيره. وقد نجح في تلك المهمّة نجاحا باهرا. ومن الذين كان لهم دور فاعل في هذا المجال المقاوم مفتاح السميري، أصيل منطقة أولاد بوسمير (جبنيانة)، مثلما رواه لنا مؤخّرا السيد محمّد بكّور الذي عايش أطوار المؤتمر..■

ع. ه.

Un regard suffit pour se rendre compte que la Nouvelle Mazda2 n'a rien d'une voiture ordinaire. Son style accrocheur se fonde sur notre philosophie de design déjà couronnée de succès, le design KODO, « L'âme du mouvement ».

Les lignes fluides et musclées de sa carrosserie laissent transparaître une puissance et une énergie débordantes prêtes à être libérées. Une voiture de caractère qui va faire tourner les têtes et chavirer plus d'un cœur!

WWW.MAZDA.TN

Economic-Auto : Tunis - Ben Arous - Sousse - Sfax - Gabès - Bou Salem - Gafsa
Réseau d'agents agréés : Bizerte - Sfax - Djerba
Tél. : 31 305 815

www.facebook.com/mazdatunisie

@mazdatunisie

محمـــود السّهيـــلـي، شـــاهـدا على

... العصر

بقلم علي اللواتي

فقدت السّاحة الثّقافيّة التونسيّة والحركة التّشكيليّة بتونس بوفاة المرحوم محمود السّهيلي أحد أعلامها الأكثر تأثيرا في تاريخ الرّسم التّونسي خلال مسيرة جاوزت نصف قرن،أكسبت الفقيد مكانة هامّة في الذاكرة التّشكيلية التّونسيّة؛فقد حقّق منذ بداية السّتّينات منجزا ذا أهميّة كمّا ونوعا وأسهم بأعماله ومواقفه وآرائه في صياغة ملامح الحركة الفنّيّة،كما عرّف بالرّسم التّونسي في عديد المعارض والتّظاهرات بالخارج. ويعدّ الفنّان، إضافة إلى موقعه المتميّز من حركة الفنّ التّونسيّ الحديث والمعاصر منذ بداياته،عنصرا بارزا ضمن التّيار التّجديديّ الذي ظهر في السّتّينات من القرن الماضي؛ولم يكن إسهامه فيه بإبداعه كرسّام فقط بل بالدّعوة مع ثلّة من زملائه إلى تغيير المفاهيم الجماليّة وإيجاد وسائل عمل جديدة في الميدان الفنّيّ انتهت إلى تأسيس رواق «ارتسام» بالعاصمة في العام 1976.

ولد المرحوم محمود السّهيلي بتونس سنة 1931وبدأ مسيرته كرسّام وكأستاذ بعد العودة سنة 1960من الدّراسة بالمدرسة العليا للفنون الجميلة بباريس إبّان مرحلة ظهرت فيها بوادر حركة تشكيليّة نشطة شهدت نضج تجارب رسّامي مدرسة تونس أمثال جلال بن عبد الله وعبد العزيز القرجي والزّبير التّركي وعلي بن الآغا وغيرهم.وكنتيجة للثّراء الذي اكتسبته الحركة بفضل جهود هؤلاء ومن سبقهم من الرّوّاد الأوائل في نشر التذوق الفنّي، فقد ظهرت أفكار ورؤى جديدة حول الفنّ ووظائفه نادى بها جيل جديد من الرّسّامين ومن بينهم محمود السّهيلي. فكانت تلك الأفكار إعلان تمرّد على المفاهيم الجماليّة التي آمن بها سابقوهم، وبدأت الثّورة بطرح التّجريد كمنحى جمالي يعارض التزام رسّامي مدرسة تونس بالمعالجة التّشخيصيّة للموضوع، وكان أبرز ممثّليه في تلك الفترة الهادي التّركي

بممارسته للتّعبيريّة التّجريديّة، ونجيب بالخوجة الذي اتّجه، بعد مرحلة تأثّر فيها بالأساليب التّجريديّة العالميّة، إلى صيغ تأصيليّة، تستلهم البنية الشّكليّة والجماليّة للخطّ العربيّ والعمارة الإسلاميّة. وبينما كانت اتّجاهات التّجريد ترفض في جوهرها أيّ علاقة بتشخيص الأشياء، اختار السّهيلي الثّورة على التّشخيصية السّائدة من داخلها متّخذا موقعا وسطا بين إذابة المرئيّات تماما في مادّة الخطوط والألوان وبين تسجيلها والاحتفاء بها كصورة تشهد، إن قليلا أو كثيرا، على واقع ثقافي واجتماعي تقليديّ.

تتأسّس رؤية السّهيلي الفنيّة على البحث، فيصيغ تشخيصية تنأى عن المحاكاة الأمينة للواقع، لتربط صلات متجدّدة به من خلال الإيحاء واللّمح في تصوير الشّخوص والوسط التي تعيش فيه بمعالجة مُجْمَلة ومختزلة. يبدو الموضوع، في أعماله، مجرّد ذريعة لحركة الرّسّام الحرّة في تعاطيها مع الخامات اللّونيّة وفق تعبير ذاتيّ ينزع إلى تأويل الواقع أكثر من تسجيله. وقد لازمته تلك الرؤية العامّة طوال مسيرته الفنيّة الطّويلة في مختلف مراحلها بدءا بتجاربه الأولى في ما اصطلح عيه بـ«مرحلة جربة»، حيث اعتمد أسلوبه في تصوير الحياة اليومية بالجزيرة آنذاك درجاتٍ لونيّة محدودة كالأسود والبنيّ والرّماديّ والأبيض، ضمن تكوينات محكمة البناء قوامها حركات فرشاة عريضة لا تخلو مادتّها الدّسمة من تعبيريّة صارمة. وفي أواخر السّتّينات انتقل السّهيلي إلى التّعبير من خلال كتل أو لطخات توحي بالموضوع في طرح انفعاليّ لا يكاد يحفظ للأشكال هويّتها، وقد يكون تأثّر في ذلك بالمدّ التّجريدي الذي بات مسيطرا على التّجارب الجديدة؛ ويُذكر من منجزات تلك المرحلة معرضه الكبير في القاعة البلدية للفنون سنة 1967، الذي اشتمل على أعمال قدّمها حسب موضوعات مختلفة مثل «مرايا» و«زياتين» و«الفصول الأربعة».

وفي بداية السّبعينات، طرأ تطوّر آخر على أسلوب السّهيلي أعاده إلى تشخيصيّة تقترب مجدّدا، وإن بحذر، من الواقع، حيث بات يولي كلّ الاهتمام للإيقاعات والكتل الكبرى على حساب التّفاصيل في تكوينات عريضة يسيطر فيها البنيّ والأسود مع لمسات من الأحمر. وظلّ ذاك ديدنه طيلة سنوات في معارض استوحت مواضيعها من أسفار قادته إلى الجزائر (1972) والسّودان (1978) والمغرب (1984). وقد تميّز أسلوبه في تلك المرحلة بالابتعاد عن التكوينات المحكمة والتعبيريّة الحادّة، واعتماد غنائيّة تميل باللّون إلى مرونة وشفافية تقتربان من تقنيّة الألوان المائيّة.

وخلاصة القول إنّ المرحوم محمود السّهيلي ومن تميّز مثله من الفنّانين، خلال مسيرة الفنّ الحديث في تونس منذ بداياتها، قد خاضوا، حسب إمكاناتهم وفي ظلّ ظروف متقلّبة، تجربة تأسيسيّة رائدة في الثّقافة التّونسيّة، ويحسب لهم أنّهم ساهموا في فتح الوجدان التّونسيّ على الحداثة. ورغم الوهن الذي قد يعتري الذّاكرة أحيانا ورغم غبار الأيّام الذي يحيل الألوان ويطمس الملامح، فإنّ اسمه وأسماء أخرى معروفة بمنجزها المميّز، لا تزال ترسل بريقا يخترق السّديم الذي قد يلفّ في مراحل ما الذّاكرة الجماعيّة. وغير كاف أن تُذكر تلك الأسماء أحيانا على نحو مبتسر أو مغرق في العموميّة لنوفيها حقّها؛فالمهمّ أن لا نغفل عن إضافاتها الحقيقيّة وعن ذكر منعرجات مسيراتها الحاسمة التي تربطها بعصرها ومحيطها الثّقافيّ، ومن هذا المنظور كان محمود السّهيلي شاهدا على عصره ومشاركا فاعلا في صياغة التّاريخ الثّقافي التّونسي كرسّام وكأستاذ تخرّج على يديه جيل من الفنّانين تأثر الكثيرون منهم بفنّه.■

ع.ل

شمس FM

تونس الكبرى
101.7 FM

بنزرت
95.7 FM

قفصة
88.7 FM

صفاقس
96.2 FM

الوطن القبلي
106.5 FM

المنستير
90.6 FM

القيروان
107.0 FM

سوسة
93.7 FM

شمس FM، وين إنت، وين أحنا

www.shemsfm.net

صوفية القلّي
كانت شعلة فانطفأت

برحيل صوفية القلّي عن سنّ تناهز 84 عاما انطفأت شعلة متوهّجة أضاءت لعقود طويلة الساحة الثقافيّة التونسيّة بنشاط حثيث وعطاء فكري وأدبي غزير جعل منها أحد الوجوه النسائية البارزة في البلاد. فهي شخصيّة متعدّدة الملامح والأبعاد جمعت بين التدريس الذي مارسته بداية من سنة 1956 وتنوّع الحراك الثقافي.

بعد إحرازها شهادة الدكتوراه في تاريخ الفنّ من جامعة الصربون في ستينيات القرن الماضي، تخصّصت في ميدان النقد الفنّي، موجّهة اهتمامها للفنون التشكيليّة، إذ غالبا ما كانت تقدّم أعمال رسّامين تونسيين انتموا إلى مدرسة تونس أو إلى اتجاهات فنيّة أخرى.

دفعها ولعها بالسينما إلى إحداث خزينة سينمائيّة بمساعدة هنري لنغلوا Henry Langlois الذي كان يشرف على الخزينة السينمائيّة الفرنسيّة، ممّا أتاح الفرصة لروّاد نوادي السينما آنذاك من مشاهدة أفلام قيّمة بصورة منتظمة.

ومنذ إحداث أيّام قرطاج السينمائيّة، ظلّت تساهم إلى جانب الطاهر شريعة في تنظيم هذه التظاهرة الدوليّة الكبرى وفي دعم إشعاعها. كما خاضت تجربة الإخراج السينمائي وقامت بتصوير عدد من الأفلام الوثائقيّة عن تونس العاصمة.

أمّا في المجال الأدبي، فقد برزت شاعرةً مُجيدة باللسان الفرنسي من خلال دواوين نشرت لها في بداية السبعينيات، إضافة إلى أعمال روائيّة وقصص للأطفال.■

ليدرز العربية Leaders

للحصول على مجلّتكم بانتظام
وبأوفر ثمن

اشترك الآن

12
عدد/سنويا

25
دت
فقط

+

وفّر أكثر

اشتراك مزدوج
55
دت
فقط/سنويا

اشتراك: _____
العنوان الحالي: _____
الهاتف: _____ الفاكس: _____
العنوان الالكتروني: _____
العنوان: _____
الترقيم البريدي: _____ البلاد: _____
عدد الاشتراكات: _____
طريقة التسديد: تحويل بنكي ___ صكّ بنكي ___ حوالة بريدية ___
التحويل باسم شركة بي ار فاضلوري
CCB DEVISES 08 008 00057 59 001093 3 03
CCB TND 08 008 00067 10 01274 0 71

ليدرز العربية : مجمّع النور، مدينة العلوم، ص.ب 200 - 1082 تونس مهرجان - تونس
الهاتف 111 232 71 216+ / الفاكس: 333 730 71 216+
leaders.arabiya@gmail.com

رحلة في السّنوات

بقلم الصّحبي الوهايبي

سنة 2052: 19 فيفري 2052، أدركت من العمر مائة عام؛ ولكنّي كنت منشغلا عن ذلك كلّه بالذّكريات العجيبة التي أخذت تتدافع، وأنا محتار! يـــاه! أين كانت تختبئ كلّ هذه الذّكريات؟ كأنّها ليست ذكرياتي أنا، وكأنّها ذكريات رجل آخر؛ أو كأنّي أراها بعين غير عيني وبقلب غير قلبي؛ وكان «مستر ديفنباخ»، وهو أمريكيّ درّسنا الهندسة المعماريّة أوائل السّبعينات من القرن الماضي، يقول لنا، ونحن طلاّب مبتدئون نتدرّب على رسم معالم تونس كما اختزنتها ذاكرتنا: «لماذا ترسمون المشاهد التي تستحضرون بنفس الخطوط والأشكال والألوان؟ الصّورة أيضا تتغيّر! ليس هناك صورة ثابتة!»؛ وكنتُ أسمع أبي يروي أحيانا بعضا من ذكرياته، وأنا أظلمه:«لماذا لا تستقرّ رواياتُه على حال؟ لماذا تتبدّل من فصل إلى فصل؟»؛ الذّكريات ليست مومياء محنّطة؛ هي أيضا حيّة تتبَدّل؛ ولم يكن من عادتي أن أعود إلى ألبوم الصّور، فلماذا أعود اليوم؟ وأنا أسترق النّظر استراقا، كأنّي أخاف أنْ أهيّج أشجاني! تستوقفني صورة قديمة جدّا، جوان 1964، وأنا تلميذ في الفصل الخامس في مدرسة طارق بن زياد في القيروان؛ كنّا ستّة وثلاثين تلميذا؛ غابَ يومها تِرْبُنا عبد السّلام الشّريف، وقد نام نومتِه الأبديّة ونحن نتهيّأ لحفل آخر السّنة، فبقينا خمسةً وثلاثين؛ فلماذا كلّما عَدَدْتُ أترابي وجدتُ ستّةً وثلاثين؟ كيف جاء عبد السّلام إلى الصّورة، واقفا إلى يساري؟ يا عبد السّلام، فُكَّ عن يساري! فأنا لا أطيق أحدا عن يساري!

سنة 2053: قليلة هي الأحداث التي غيّرت مجرى حياتي، ولعلّ حكاية جزّار سيدي البحري أهمّها على الإطلاق! هي حكاية بدأت في يوم كئيب كسائر الأيّام، في مدينة كئيبة كسائر المدن؛ الأحد، 6 أكتوبر 1985، أخرج إلى سوق سيدي البحري في تونس، وهي سوق شعبيّة، جُلّ زبائنها من النّساء، وأنا أتسوّق على مضض، ولا أزاحم، فلا أفوز إلاّ بما خرث ولاث؛ ثمّ أعرّج على جزّار ليس في حانوته غيري وغيره؛ والسّاطور طالع نازل، وأقول لنفسي في نفسي:«سيقع السّاطور في اللّحمة الحيّة!»؛ والجزّار ضخم الجثّة، عظيم الهامة، ولكنّ يده اليمنى هزيلة وأصابعه نحيفة معروقة، والخاتم الفضّة في الوسطى كحذاء 47 في قَدَم مقاسها 38؛ والرّجل دون أن يرفع بصره: «ارفع نظرك عن يدي! عيْنك حرشاء!»؛ وكان سي مبروك الطّرابلسي، وهو معلّم رياضة أواسط السّتّينات من القرن الماضي في مدرسة طارق بن زياد في القيروان، يقول لي، حين يهمّ أحد أترابي بالوثب العالي: «يا صحبي، دُرْ إلى الوراء! أو أغمضْ عينيك!» والفتْيَة يتعثّرون!؛ و«مسيو كواتانون» أستاذ الكيمياء في المرحلة الثّانويّة يقول:«لن تنجح التّجربة إذا لَمْ يرفع «مسيو وهايبي» نظره عن الأنبوب!»، وأشيح ببصري، ولكنّ الأنبوب ينفجر! ثمّ مرّت السّنوات، وحسبتُ العمرَ فعَلَ فعْلَه، فلانَت نظرتي وطابت، وقد عَمّر قلبي كثيرٌ من الودّ والحبّ، وما أكثر ما كنت أحبّ! حتّى جاءني المَدير إلى مكتبي في وزارة التّربية: «يا صحبي، لا تحضر غدا حفل التّدشين! خذْ لنفسك يوم راحة، واخرج مع صاحبتك وتمتّع!»؛ وكان الوزير الأوّل محمّد مزالي، طيّب الله ثراه، يتهيّأ لتدشين المعهد النّموذجيّ بأريانة، ومازلت ألحّ وألجّ، حتّى ضاق المدير ذرعا: «يا سي الصّحبي، عينك حرشاء! هل تريد أن تأخذنا في داهية؟»؛ وما هي إلاّ أيّام قليلة حتّى غادر الرّجل البلاد هاربا بجلده؛ وكانت صاحبتي، على أيّامها، تقول لي:«أَحَبُّ ما أُحبُّ فيك، نظرتك!» ثمّ تطبق عليّ، وأطبق عليها، وأنا أطبق عينيّ! ووقع السّاطور في اللّحمة الحيّة، ونجت الأصابع الأربع، ولم تهلك إلاّ الوسطى، وظلّت تتلوّى وتقفز مثل ذيل سحليّة، والجزّار غافل عن ذلك، كأنّ اللّحمة ليست لحمتَه، وأقول لنفسي في نفسي مهوّنا: «بسيطة! الوسطى لا دور لها، حضورها كغيابها! وغيابها لن يعيق عمله! وهو لم يتفطن لغيابها أصلا! أنا لا أفهم لماذا خلق الله الوسطى!»؛ وتعلّمت ألاّ أكون أبدا في الوسط، وتعلّمت أنّ المكان الخطر هو وسط المكان، والوقت الخطر هو وسط الوقت.■

ص.و.